حلقات صنع المستقبل

الدكتور عقيل حسين عقيل

حَلقاتُ صُنع المستقبل

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2022م

جدول المحتويات

المقدّمة 5

صُنعُ المستقبل..... 7

صُنع المستقبل أمل: 15

المستقبل تطلّعًا: 28

صُنع المستقبل ارتقاء: 30

صنع المستقبل يحدث النُقلة: 39

إنجاز الأهداف: 47

تحقيق الأغراض: 54

الغرض ارتقاءً تجاوز دونيَّة:..... 61

تحدّي الصّعاب يُمكِّنُ من الغايات: 66

تحدّي الصِّعاب يمكّن من المأمولِ: 73

نيل المأمول: 79

الإرادة 86

قوّة الإرادة: 92

تقويض الإرادة: 96

مُدعِمات الإرادة: 105

الإرادة تتحدّى الصّعب: 112

التهيؤ 120

التهيّؤ في مواجهة التهيؤ: 125
مكوّنات التهيّؤ: 132
تهيّؤ مادّي عقلي: 132
تهيّؤ مادّي نفسي: 136
تهيّؤ مادّي نفسي عقلي: 138
تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي: 142
معطيات التهيّؤ للفعل: 145
تقابل التهيّؤات: 146
صور التهيؤ: 148
الاستعدادُ 167
أنواع الاستعداد: 169
1 ـ الاستعداد الذهني: 169
2 ـ الاستعداد النفسي: 171
3 ـ الاستعداد البدني: 173
الاستعداد تنوُّع: 174
إعداد العُدّة: 179
إعداد العُدّة توازن خوف: 190
التأهّبُ 195
المتأهّب على الدّراية: 205

المتأهّب والقلق: 206
التأهب استبصار: 209
الفعلُ 215
الإقدام على الفعل: 221
الفعل تتويجًا: 223
الفعل ارتقاء: 223
الحوافز تدعم الأفعال: 230
الإمكانات تنجز العمل: 238
صدر للمؤلّف 245
المؤلّفات 246
المؤلّف في سطور 263
المؤلّف في سطور 263

المقدّمة

حلقاتُ صناعة المستقبل دوائر خمس متداخلة ومتماسكة التداخل؛ بحيث لا تنصرم حلقاتها بغاية بلوغ المأمولات ونيلها أو الفوز بها، وهذه الحلقات الخمس مستهدفاتها مقصودة وعن عنايةٍ تامّةٍ؛ إذ لا عفويَّة في التفكير العلمي والمقاصد العلميَّة لصناعةِ المستقبل قمَّة ونُقلة.

ومع أنَّ الظّواهر والمشاكل والقضايا مثيرة لانتباه العقل الإنساني وملفتة إليه، فإنَّ البحث فيها بما يفيد المستقبل المأمول أو المرتقب، يستوجب اتباع خطوات البحث العلمي، وفقًا لإرادة محفّزة للرّغبة، وتهيؤ يربط بين العلّة والسّبب، واستعداد يؤهِّل لأخذ المواضيع بحسابات دقيقة تُمكّن من بلوغ نتائج موضوعيَّة، وتأهُّب يربط بين المتأهِّب للفعل والإقدام على فعله بلا تردّد.

ولأنَّ الإرادة أوَّل الحلقات في هذا المؤلّف؛ فهي لا تكون إلَّا في حيّز التخيير وممارسة الحريّة، التي لا يكون فيها التمدّد على حساب حريَّات الغير وحدودهم الآمنة لممارسة حقوقهم، وأدائهم لواجباتهم، وحملهم لمسئوليَّاتهم.

ومع أنَّ زمن الإرادة حاضرٌ، فإنَّ مقاصدها في هذا المؤلَّف: (حلقاتُ صُنع المستقبل) تَرسم وتُخطط لما هو آتٍ؛ ولهذا فإرادتنا نحن بنو الإنسان لا ينبغي أن تقصر تفكيرنا وتدابيرنا على الزّمن الحاضر، وكأن الحياة البشريّة خُلقت من أجل الحاضر وتوقَّفت عنده.

ولهذا جاءت الحلقة الثَّانية: التهيؤ، متداخلة بحيويَّة الإرادة مع حلقة الاستعداد وإعداد العُدَّة؛ ذلك لأنَّ الإرادة لم تكن غاية في ذاتها، بل الغاية صُنع المستقبل الذي لا يتم بلوغه إلَّا بعد تهيؤ نفسي ومادّي، وتخطيط علمي

مع قبول المواجهات مع أيّ عائق من العوائق المعترضة للتمدد المفيد، والذي لا يكون على حساب الغير.

أمَّا حلقة الاستعداد وإعداد العدّة فهي لو لم يسبقها تهيؤ مدفوع بحيويَّة الإرادة ما كانت أصلًا حلقة من حلقات صُنع المستقبل؛ ولأنَّها كذلك فهي المؤهِّبة للإقدام على الفعل الذي لا يُمكِن بلوغه من دونها.

وبهذه الكيفيَّة انتظمت حلقات صُنع المستقبل في لُحمة موضوعيَّة جعلت من التأهّب الحلقة الرَّابعة التي تقف بالباحثين والعاملين على أعتاب صناعة المستقبل، والقيام بالفعل الذي به يتمّ الإقدام على تنفيذ المشروعات المعدة الخطط مسبقًا بشأنها.

ومن ثمَّ كان الفعل والإقدام على تنفيذه والقيام بواجباته الخطوة الخامسة التي بها أُقفلت حلقات صناعة المستقبل في الزّمن الحاضر برؤية تجنّب الحاضرين من النَّاس المشاكل المفترضة في الزّمن المستقبل.

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2022م

صُنعُ المستقبل

مع أنَّ المقصود بالزَّمن المستقبل هو ما لم يأتِ بعد فإنَّ الشّعوب والأمم المتقدِّمة تعمل عليه قبل إن يأتي إليها، وفي المقابل الشُّعوب تتأخّر وتتخلّف في حالةِ ما إذا غيّبت عقولها عن التفكير والتخطيط من أجل المستقبل المنتظر نُقلة.

ولذا فلم يعد المستقبل مجرَّد وقتٍ ننتظره حتى يأتي إلينا، بل أصبح المستقبل مشروع حياة أو موت من أجل البقاء الآمن؛ فالشّعوب التي تجري في أراضيها الأنهار على الرّغم من توافر المياه في زمنها الحالي، فإنّها تبني السُّدود؛ لتوليد الكهرباء وتحصين شعوبها بالمياه في حالة ما إذا شحّت حيويّة المياه من منابعها أو مصادرها، وكل ذلك من أجل المستقبل الآمن.

إذن فالمستقبل هو ذلك المعلوم وفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وهو الذي من أجل بلوغه الشّعوب والأمم المتقدّمة تخطّط له وترسم السياسات، أمَّا الشّعوب والأمم المتخلّفة فتضع المستقبل في علم الغيب، مع العلم أنَّ علم المستقبل لا يكون علم غيب، بل هو الذي سيأتي في حركة متصلة مع إدارة الزّمن برهةً وساعةً ويومًا وأسبوعًا وشهرًا وعامًا ودهرًا وهكذا، فعلم المستقبل هو الذي نعلمه في دائرة الممكن؛ فنحن نعلم أنَّ غدًا الجمعة بما أنَّ اليوم هو الخميس؛ ولهذا نفكّر في يوم الجمعة ونعمل من أجله حتَّى يأتي دون أن نغفل عن السّبت وبقية الأيّام؛ فنكدّ ونجدّ من أجل أن تكون أحوالنا فيها على خير، ولأنَّنا نعلم أنَّ التّعليم يقضي على الجهل ويُحسّن أحوالنا المعيشيّة والصّحيّة والثقافيّة والاجتماعيَّة والسياسيّة؛ فنبني المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي؛ ليكون النَّاس كلّ النَّاس في مستقبلٍ أفضل، ولو لم

نفكّر ونعمل من أجل المستقبل فلماذا نستنشق الأكسجين؟ ولماذا نقي أبداننا من البرد القارص؟ ولماذا نصلّي ونصوم ونزكّي إن لم يكن كلّ ذلك من أجل المستقبل؟

ألا يكون لأحوال الطّقس قراءات في دائرة المستقبل المتوقّع؟ ألا تكون هناك قراءات دقيقة عن أزمنة الكسوف والخسوف وأماكنه التي يظهر فيها أكثر وضوحا؟ فهل هذا علم غيب!

بالتأكيد (لا)؛ فعلم الغيب هو الذي لا نعلمه، إنَّه بأمر الله عالم الغيب والشّهادة، أمَّا علم المستقبل فهو العلم الذي نعرفه؛ كونه يكمن فيما نعرف من أيّام وأعوام ستأتي بلا شكّ إن لم يصدر عالم الغيب أمرا، وحتَّى النّمل يدرك المستقبل، ممّا يجعله يعمل جادّا في أيّام الصّيف والخريف من أجل أن يخزّن طعاما له لتلك الأيام القارصة التي ستأتي في فصل الشتاء؛ فما بالك بالإنسان الذي يتذكّر ما مرّ به من أزمات في أعوامه المنصرمة أيٍّ كانت هذه الأزمات، سواء أكانت غذائيّة أم مائيّة أم طبيعيّة، أم صحيّة؛ فهذه معطيات تجعله يفكِّر في أعوامه الآتية في يومه هذا؛ كي لا تتكرّر معه التأزُّمات المؤلمة ثانية، ويسلم من الأضرار التي لا تكون إلّا بأسبابها؛ فيتدبَّر أمره تخطيطًا وعملًا إستراتيجيًّا به تُحدث النُّقلة من حالة كانت سائدة بالتأزُّمات إلى حالة الحلّ المخلّص من كلّ أزمة.

والمستقبل ليس ذلك الزّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته، لا شكّ أنّ ما ينتظرونه

سيكون متحقّقًا، ولكن بلا آمال؛ لأنّه الزّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنتظروا الزّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجا بين أيديكم في الزّمن المنتظر (المستقبل).

والمستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الإستراتيجيات من أجل بلوغه عملا وإنتاجا ونهضة وتقدّما؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلٌ سلبيٌّ. والمستقبل غير منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاءً، وهو الذي من دونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل النّهوض ارتقاءً، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربةً ومنهجًا ووسيلةً.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا

وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق ما دمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارًا؛ ولهذا فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقا وارتقاء)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرًا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذًا؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملًا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضًا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجا وإعمارًا وبناء وبحثا علميا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الإستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى؛ فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضًا معيّنًا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون سببا في حلّ كثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليَّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه

يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلٍ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه أن يحقق غاية؛ وبهذا يصل التفكّر إلى ما يُمكِّن من بلوغ المأمول ونيله.

ومن ثمَّ ينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحًا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائما نحو شمولية يتّسع مداها؛ كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالف للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا وحاضرا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه: يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرًا مبنيًّا على تشعبات استبطانيّة وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألّا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع ؛كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابيّة

المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع؛ وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[1].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر؛ ولهذا فعلينا به تخطيطًا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعٍ؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

[1] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد؛ ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

ولذا فالقاعدة هي:

. العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

. العيش من أجل الآن.

صُنع المستقبل أمل:

المستقبل إذا تمّ قصوره على الزّمن؛ فهو لا يُصنع، ولكن إن نُظر إليه سعة يمكن أن تملى بما هو مأمول ليتم العمل من أجله قبل بلوغه بالتأكيد سيكون المستقبل قابلًا لأن يُصنع عملا ومعرفة وتخطيطا وأخذ حيطة وحذر. ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرًا في أحسن تقويم، لكنّه اختيار الحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاذ الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضًا، ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوّل (آدم) جنّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقا، أصبح الارتقاء بالنّسبة إليه مجرّد أملٍ. ومع ذلك؛ فالأمل لا يتحقّق إلّا عملًا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنّسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنّه بالنّسبة لآدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا؛ ولهذا فالأمل بالنّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍّ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولذلك ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ {فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}2، فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه، ومع ذلك فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف أنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه وبين الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارًا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليّة؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لم يعدّ هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

وعليه:

---

[2] الكهف: 29.

. كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخُلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيًّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

. اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: إنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك؛ فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذّنب؛ فيلد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصيّة، ومن ثمّ، ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى الانفراج،

وتعيده إلى حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنّة التي خسرها بعلل الشّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع أنّ الزّمن في أذهاننا مقسّمٌ بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا؛ ولذلك فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاء؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم إنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكنّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد المت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطًا دونيّا ندمًا واستغفرًا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودًا في الكون المرتق حيث لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق

والغروب، ولأنّه كذلك فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيئًا مسجّلا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعاؤه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرا في الزّمن الحاضر، أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرًا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعدّ هي مركز منتصفها، وفي الوقت ذاته تعدّ نقطة نهايتها، وهنا، يعدّ الزّمن كلّه حاضرًا، أمّا الأعمال في الزّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر آمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه فهو كنز لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على

إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في الوقت ذاته بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه، فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء، ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوءًا وإبداعًا منتجًا لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعدّ السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، ومن خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}3.

يُفهم من هذه الآية، أنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوّل المغتنمين لها استغفارا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا؛ ومن هنا فالزّمن ليس هو ما نأمله بل الذي نأمله، ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك فالزّمن هو الزّمن فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنَّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُّقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛

---

[3] العنكبوت: 20.

ولهذا لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا، كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك حتى أسقط بها أرضا في الزّمن غير المتوقّع؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ـ ألا يكون من الأفضل لي أن ألعب بذيلي بدلا من أنْ ألعب برأسي؛ فأنا عندما ألعب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

هكذا هي الرّؤوس بلا أمل يُلعب بها، وهكذا هي الفئران تفكّر؛ فتنجو، ولذلك فالعيش بلا أمل ممكن، ولكن لا حياة بلا أمل؛ ذلك لأنّ الحياة لا تكون إلّا والأمل يملؤها، أمّا العيش فلا فرق فيه بين حيوان وإنسان، ولكن ما هي الحياة أمل؟ ومن هو الإنسان أمل؟

أقول:

الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملا محفّزًا بالرّغبة والإرادة؛ ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمَّا الإنسان الأمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق حتى يعرفوا أنّ المعجز معجزٌ.

ولذلك فالواعون دائما هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدَّ كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُّبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملًا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق آمالهم، وحفّزهم على التحدّ؛ ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملؤه الحيوية بما يرشد إليه من جديدٍ أكثر وضوحًا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُّفلية والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهدافًا أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفًا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرضًا ووراء كلّ غرض أغراضًا جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدّم خطوات فأسرع تقدّما دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)؛ ولهذا فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا يجب الاستعانة بالغير لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة

من إنجاز ما يفوق القوّة الفرديَّة؛ ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائمًا لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين (تهيؤ نفسيًّا وعقليًّا وبدنيًّا وصحةً وتعليمًا وتأهيلًا وتدريبًا)؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آملٍ عريضة.

. اعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فأسع فهو ممكن التحقّق، ولكن عملا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع؛ حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة)؛ حيث لا عمل ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل من دونها تصبح أمنيات ليس إلّا؛ ولهذا فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملا، أمّا الأمل فلا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عملٌ يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعدادًا، ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبًا للإقدام على الفعل الممكن منه أملًا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو إستراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يتساءل:

آلا تكون العلاقة بين ألآملِ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعور مرغوب، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل من دونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من آملٍ؛ ولذا؛ فإن حدث ذلك أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

إذن وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيدًا من الآمال فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها، إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس.

المستقبل تطلّعًا:

هو المستوى القيمي الذي يجعل الشّخصية في حالة ميل من المستوى الذاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصادية علاقات مجتمعية لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيز، ولأنها تعتمد على التحليل المنطقي فإن الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعية والإبداعية؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج؛ لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصية متطلعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة، إنّها الشخصية المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

ولهذا فالشّخصية المتطلعة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الذّات ومستوى الآخر، الاعتدال في قول الحق منطق، الإعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أن إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه إنَّ الشّخصية المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها، وتتحمّل مسئولياتها، وتعترف بأن للآخرين ما يماثل ما لها، فهذه الشخصية تعيش حالة التقمّص؛ حيث تستعير شخصية الآخر وتسعى للذوبان فيها، بوصفها القدوة التي تعتقد أنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أن الشّخصية في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاء، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها، سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، لا تعمم سلوكيّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصيّة التي توصف بذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي، إنّها الشخصيّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، مستوى لغتها الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلّا في الحُجَّة المقبولة بين أطراف الحوار.

إنّها الشّخصيّة الاستنتاجيّة القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد، حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير

المادّي المباشر؛ نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتية الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتية تميل إلى الموضوعيّة، تنتهج الأساليب العلمية في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكنها من التمييز المنطق، إنها الشخصيّة الطموحة المتطلعة للأفضل والأجود، وترى أن التحصيل العلمي هو المؤدي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل؛ فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي.

صُنع المستقبل ارتقاء:

الارتقاء مكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يراه تطوّرا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانية له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هي عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة؛ ولأنّه كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوافرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر وفقا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعية، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقائه؛ فالإنسان خُلق متميّزا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص بقية الكائنات وصفاتها.

ولذلك؛ فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، فإنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطًا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع إنّه الأمل في الزّمن الحاضر، فإنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة، والأغراض التي من ورائها، والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة، مثل السّلوك وما يطرأ

عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدٌ على حساب الغير.

وهنا؛ فالممكن ارتقاء هو المتاح تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلًا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودا لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه، لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب، أمّا غير المتوقّع فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا، ومن هنا ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقًا؛ ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%)، والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لِما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون؛ كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والإستراتيجيَّات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبًا وما هو متوقّع سالبًا، وما هو غير متوقّع موجبًا، وما وهو غير متوقّع سالبًا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلًا فعلى الإنسان أنْ:

. يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس؛ حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألّا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقائه قمّة.

ومن ثمَّ فمن يرسم الخطط والإستراتيجيّات ويعدّ البرامج وفقا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث؛ ولذلك فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرًا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي الوقت ذاته يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا، أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يره وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجآت المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملًا أو غير محتملٍ؛ ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ، يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود

إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل؛ إذن فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنٌ، فإنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدودية إمكاناته، وعلى الرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل ارتقاء يستوجب الآتي:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّرورية؛ ليعيشوا حياة تعليمية وصحية واقتصادية مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمآكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازة ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعيَّة وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّروريّة، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعدّ حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائما على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجيّة وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصادية، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين، والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع؛ حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية؛ لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها: (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكّنوا من العيش برفاهية واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيَّة، ويحقّق لهم أبعادًا إنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعيَّة؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، ولأن إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، تأسست هيئات وجمعيات ومؤسّسات دوليّة إنسانيّة لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أو جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الإشكاليّات من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة، ولا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرضا هي الأخرى ذات علائق.

ولذا يستقرّ البلد باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافيّة نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته؛ ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطرية وغريزية.

إذن من باب الضرورة والوجوب لا مفر من إشباع الحاجات البشرية المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يُهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

. تطوّر الحاجات.

. تطوّر المطالبة بها.

. تطوّر مشبعاتها.

. تطوّر أساليب الإشباع.

صنع المستقبل يحدث النُقلة:

ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعيّة، فهو المكِّن من تجاوز المستويات القيمية الثلاثة الواردة في تصنيف عقيل (الذاتيّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، الذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة وبالعلائق النفسيّة والذوقيّة والثقافيّة.

ولهذا فالقاعدة هي:

. تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. تحقيق التخلف.

ولذا فالاعتراف بما يُبذل من جهود، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيّة والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهمية العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنّ التقدير والاعتراف كلّ منهما قيمة، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ، وهنا يؤكد فرنسيس فوكو ياما على أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارهما المحركان للتاريخ من وجهة النّظر الليبرالية هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك يؤكد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة.

ولأنّ التقدير والاعتراف يمكنان من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدمه له؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية، يأمل أن يكون سيّده راضيا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد. وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في

المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميّة والجماليّة). جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النقلة.

وعليه:

. كن إيجابيا لتنل التقدير والاعتراف.

. كن متفهِّما لتحدث النقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أن الاعتراف يحقق قيمة التقبل.

. ثق إن الجحود مفسدة.

. ثق أن مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

وعليه ينبغي على المسئولين في كلّ المستويات أن لا يغفلوا عن:

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليات ينبغي أن تحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معًا).

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانيّة.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانية بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئولياتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أم خارجية أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة، للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الإستراتيجيات التي تحقق النقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافية ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة

والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسئوليات تُحمّل، وأنا كلمة حقّ لابدّ أن أقال، وأنت الباطل لابد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقيّة.

. الشفافية وضوح في القول والفعل.

وعليه:

إنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيّة يؤدّي إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدث النُّقلة. أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، فهذه الظروف في طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد حيث الفروق الفرديَّة، وحيث الفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعية؛ فإن اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات.

إنجاز الأهداف:

الأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا أم عملًا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب

أن تُبلغ ارتقاءً. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا؛ لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}4.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة مأمولة.

وعليه:

---

4 هود: 118، 119.

إنَّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها؛ ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة، ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛

فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة؛ ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسيّة والاقتصاديّة والمعرفيّة ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوّلًا بأوّل.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعدّ تحديد الأهداف كسرًا فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعدّ إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنّه ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ ولهذا فالأهداف ترتّب أوّلًا بأوّل، ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقًا جديدة لصوغ أهداف جديدة لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنّ البداية تُعدّ نقطة الصّعوبة، فإنّها في النّهاية لا تعدّ نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي أن تكون الأهداف غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية.

ولذلك؛ في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالأهداف ارتقاءً ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

ومن ثمّ، ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.

. من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. إنجاز الأهداف يولّد أهدافًا جديدة في عقول الجادّين.

. كلّ هدف يحدّد من ورائه غرض.

. كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.

كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يتمّ نيله.

. لا ترسم السياسات إلّا على أهداف واضحة ومحدّدة وبيّنة.

. الأهداف تحدّد وفقًا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛ فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف، من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا،

وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه ارتقاءً.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدفًا فوق هدف، وغرضًا فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّم لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة للإنجاز، ومع ذلك فهذا الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا؛ لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}5.

تحقيق الأغراض:

الغرض ما في النفس من مقصد تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلّا من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنَّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يطلب تحديده كما هو حال الهدف، فإنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضح وجلي؛ فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدِم على تناول موضوع بحثه إلّا بعد أن يحدد أهدافه البحثية بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسية؛ فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

---

[5] هود: 118، 119.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظة، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز استشعر الباحث بتحقق غرضه؛ فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ، أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبّرا حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيرا قبل أن تصاغ أهدافا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاءً أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفية إنجازه، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالأهداف ارتقاءً: ينبغي لها أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاعا، ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم؛ فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فإنَّ الحقد يُلهي الحاقد من بني آدم عن نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي يحرق بها نفسه. ومن ثمّ، فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا؛ فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفلية المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

فبنو آدم بلا أغراض قابلة للتحقق لا يعدون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل، فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاءً، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا، هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك فلا ينبغي لبني آدم أن يكونوا سماعيّين؛ فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب؛ حتى يتمكّنوا من الارتقاء وفقًا لما لهم من أغراض بناءة من خلال ما يمارسونه من حقوق عن

رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسئوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم؛ ولهذا فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاءً، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيًّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، لهم أغراض فيصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا، أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم، فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تفكّرون بموضوعية، وتتوقّفون عند الكتاب؛ لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من التفكير الممكّن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا). فإن كنتم أهل موضوعية؛ فلا يليق أن تتجاهلوا

كتابًا يملؤه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية؛ أملًا أن تتهذب أغراضكم من أخذ المواقف منه بأحكام مسبقة، إلى الأخذ بالبحث فيه لما فيه من مقاصد تجعل لكم منه مقصدا يعود بكم إلى تلك المقاصد مصلحين.

ولهذا؛ فلا ارتقاء لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ؛ فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم غرض قابل لأن يتحقّق ومن بعده يتمّ بلوغ الغايات ونيل المأمول، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء، وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا؛ فهي: الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة، وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرا بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تُصدِّق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء)، أمّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة).

ولهذا فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من تحقيق الأغراض والعيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يمكّنهم من تحقيق الغرض والعيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون

على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاءً.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

. أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب تفكيرًا واعيًا كما تتطلب من بعده عملًا مبدعًا ومنتجًا بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيمًا مأمولًا.

فيجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب من بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنَّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم؛ ولهذا فلا ينبغي لبني آدم أن يرتضوا بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك؛ فالغنى رحمةٌ والفقر أزمةٌ ومواجع، ولأنّهما كذلك وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب ولا يقصرون أغراضهم على ما يشبع حاجاتهم، بل ينبغي لهم أن يعيدوا صياغتها بما يشمل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاءً.

فالغنى ارتقاءً حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ، بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي لها أن تزال، أمّا العجزة والقصّر فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق من هم مسؤولين عن إدارة الدّولة.

إذن: فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة إذ لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسئولياته، وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفلية لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقًّا وواجبًا ومسئوليّةً.

ولذلك، ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه، ومن هنا: تتغيّر وتتطوّر وترشد أغراضهم نفسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا إلى ما يمكّن من ترسيخ كرامة الإنسان.

الغرض ارتقاءً تجاوز دونيَّة:

الدّونية منزلة سُفلية لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة

وعيا وتدبّرا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاءً إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شئونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السَّلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة بعدما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا وهو بلا غرض إليها بعد أن كان في السّماء قمّة.

أي: إنَّ الهبوط بآدم على الأرض هبوطٌ ليس فيه غرض لآدم عليه السّلام؛ وذلك لأنّ الدنيا لم تكن هدفه، فلو كانت هدفه لكان له غرض من وراء الهبوط عليها، لأنّ آدم أهبط به كرها، وليس رغبة، ومن هنا: يرتبط الغرض بالرّغبة والإرادة؛ فإن توافرتا كان لصاحبهما غرض أو مجموعة من الأغراض.

إذن: الأغراض كما ترتبط بالرّغبة والإرادة ترتبط بالتخيير، ومن ثمّ فلا علاقة لها بالتسيير، أي: لا علاقة لها بالإكراه.

ولهذا فآدم الذي خُلق في أحسن تقويم انحدر من القيم التي ينبغي له أن يكون عليها إرادة ومعصية؛ فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[6]، ومع ذلك استغفر آدم ربّه فتاب عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[7].

---

[6] التين: 5.

[7] التين: 6.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية، فغفر الله له، وتاب عليه بغرض الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لم يعد هيّنًا؛ إذ لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاءً فيه العمل يُتقن، ودُونية بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارًا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارا؛ وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطيّة في مواجهة الدّكتاتوريّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يُمكّن من الارتقاء غرضا.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاءً ودونيّة؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا وفق أهداف قابلة للإنجاز، وأغراض قابلة للتحقّق، وعملًا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والأغراض الفاسدة لا تكون إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء

المسئولية ارتقاءً ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا؛ ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاءً، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم غرضا وأملًا؛ فمن يعمل صالحًا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف، وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة مختلفون في قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم واتجاهاتهم؛ ولهذا فهم مختلفون في أغراضهم، ومع ذلك فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم؛ فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم

يكونوا شيئًا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئًا مذكورًا فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا؛ ولهذا فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شيئًا؛ فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[8].

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونية؛ فهم مختلفون هدفًا وغرضًا وغايةً؛ ولهذا فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونية.

ومع أنَّ القاعدة المنطقية ترى أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، فإنَّ الاستثناء يرى: كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة؛ إذ قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُّفلية، وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من غرضه رتق الأرض بالسّماوات، ومن غرضه مخالف لذلك.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف متسولين.

[8] مريم: 67.

تحدّي الصّعاب يُمكِّنُ من الغايات:

الغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدًا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فإنَّها لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغايات فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرّا وجهرا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من

تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}9 .

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجأة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع، فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}10وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون

---

[9] الذاريات: 47.

[10] الأنبياء: 104.

من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِّلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّدة وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية)، ممّا

يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد الموضوعي.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ؛ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى؛ ولذا فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم؛ حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاءً.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمينًا مع حُسن تدبّر.

. وعيًا بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبولًا تحدّي الصِّعاب.

. صبرًا لا إحباط من بعده.

. ثِقة لا شكّ يراودها.

. يقينًا لا حياد عنه.

. صمودًا، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتًا.

. ثباتًا ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عملًا مؤسّسًا على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقَ غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة، وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسيّة والذهنيّة والعاطفيّة بقوّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[11].

[11] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

تحدّي الصِّعاب يمكّن من المأمولِ:

نيل المأمول لا يعد أمرًا هينًا، وهذا لا يعني أنّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملًا جادا؛ تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

والمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفريَّة؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو، فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل، فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والإستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا، فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدٍّ للفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي؛ وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء، فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ،

فبلغ الفضاء غزوًا ومأمولًا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامًّا؛ كونه مأمولًا عظيمًا، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند كثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك فبعض الناس قد يحترم نتائج الدستور وبعضهم قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة

تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[12].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملًا؛ فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولًا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

---

[12] الأنعام: 135.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادًا وتأهُّبًا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول فهو القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ فإنّه يعد عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم، أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف، أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا ففيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها، وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق هو الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال، فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ على الرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالًا مجرّدًا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا؛ حتى لا يصبح الاحترام جبنًا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا؛ كي لا تتسع دوائر التُبَّع.

نيل المأمول:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

. ولّد في نفسك وعقلك أملًا من ورائه مأمولات.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم، وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج؛ وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فإنَّها لا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف الآمل أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاءً).

ومن ثمَّ فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملًا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له

أملًا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاءً: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقًا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من

ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاءً[13].

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي له أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدفًا فوق هدف، وغرضًا فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأملًا من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمالا قابلة لأن تنال[14].

---

[13] عقيل حسين عقيل، التنمية البشرية كيف تتحدى الصعاب وتصنع مستقبلا، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2019م، ص 212 – 258.

[14] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 152 .160.

الإرادة

الإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلَّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسئوليات، وهي وثيقة الصّلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسئولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسئولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وتزيده ثقة، وعندما لا تكون مسئولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما إنَّها الإرادة؛ فهي الدّالة على معرفة الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارا.

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهان بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها؛ ولهذا يسعى الإنسان دائما لنيل الاعتراف لأجل تبوأ مكانة اجتماعية أو علمية وإنسانية.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديَّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفرديَّة هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعيّة وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجّودة؛ ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسئولية، والمسئولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسئولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل من دون توافر الإرادة فقد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسئولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي؛ فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك ألّا تستهين بالأمر؛ وعليك

أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا15.

فالإرادة قرار يحمل مسئوليّة، والمسئوليّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما أقدم عليه من أخذ ببديل على حِساب بديل آخر، سواءً أكان ذلك المترتّب سالبا أم موجبا.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسئولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل من دون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد.

ويتصوَّر كثير من النّاس أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها اتجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

والاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقا لتفضيلاته، أو وفقا لِما هو أقلّ ضررا، أو لِما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الخير لا يفضّلون

[15] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقا للمتاح مع مراعاته للظّرف الزّماني والمكاني ولكلِّ خصوصية لا تتطابق مع خصوصيات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قوّية بين الإرادة والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب؛ لتكون السُّبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلا، هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة16.

الإرادة، التي لا اختيار إلّا بها، ولا تقليد إلّا بها؛ فهي متى ما كانت واعية بما يراد، كان الاختيار صائبا، ومتى كانت غير واعية بما يُراد؛ فلا تكون إلّا خاطئة.

---

[16] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م، ص 117.

والإرادة قوّة اتخاذ القرار بلا مؤثرات خارجية كابحة؛ فبها تحدّد الأهداف وتنجز، وبها تحدد الآمال ويتمّ نيلها، وهي التي تعطي للتخيير معنى ودلالة، وهي التي لا تسقط إلّا والحرية منعدمة؛ ولذلك فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسئولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف التقدّم والارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على التّسيير فيما لا طاقة له به، فإنّه كذلك خُلق على التخيير فيما لا تسيير فيه؛ فهو بالنّسبة إلى المستحيل والمعجز مسيّر، أمّا بالنّسبة لدائرة الممكن؛ فهو مخيّر بين متوقّع وغير متوقّع وفقا للإرادة والمقدرة.

فالإنسان خُلق على الفطرة والتقليد، وهو في أحسن تقويم، ثمّ جاء الإنباء ميسّرا لما تعسّر أمامه؛ ذلك لأنّه المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائية وجوده، بل التخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسا ونوعا؛ ولهذا الإنس غير الملائكة والجنّ، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفا عن خصوصيات الغير، وهكذا تكون الإرادة؛ فهي مع أنّها من حيث المعنى واحدة، ولكنّها من حيث الممارسة بين تيسير وتعسير، ولكلّ حسب ظروفه الشخصية والاجتماعيَّة والسياسية والاقتصادية والذّوقية.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونيّة؛ ولأنّه مخيّر إرادة؛ فله من المشيئة في دائرة

الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

لقد تطوّر الفِكْر الإنساني من الاستئناس للفطرة، إلى الأخذ بالتقليد تخييرا؛ فكان إرادة بين مفترق طرق العشوائية الفكرية؛ مرّة يأخذ بما يؤدّي إلى الارتقاء، ومرّة يأخذ بما يؤدّي إلى الانحدار، حيث عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وبين تلك المكانة ارتقاء؛ فكانت الدّونيّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بواقع، ومع ذلك جعلته الظروف يفكِّر في نفسه ومَن حوله وما حوله، فبدأت الفكرة تلد بعد الفكرة حتى استقام أمره فِكْرا؛ فانتبه إلى أهميّة الأديان حتى أثارته وعيا تجاه ما يجب، ولكنّ الانتكاسات ظلّت تحفّه حتى أصبح كلما بنى حضارة أو أسّس ثقافة، هدّها بيديه، وهنا تكمن العلّة التي تستوجب حلًّا يعيد بنائها عن إرادة.

وهنا يختلف الإنسان عن بقية الكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، وهي في حقيقة أمرها بلا تطوّر؛ وذلك لسبب رئيس وهو: أنّها لا تمتلك الإرادة؛ فالإرادة وعيا هي خاصّية إنسانية، بها خُلق الإنسان متميّزا بخصائص الارتقاء وصفاته التي لم تكن من خصائص وصفات بقية الكائنات؛ فالإنسان في دائرة الممكن إرادة يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

وعليه:

الإرادة تمكّن من:

. تقبّل الآخر بلا مكاره.

. تفهّم الظّروف بغاية الاستيعاب.

. الرّفض عندما يكون الرّفض كسر قيدٍ.

. تقديم التنازلات متى ما لزمت موضوعيًّا.

. الانسحاب عندما يصبح التقدم مؤدّيا إلى مزيدٍ من الألم.

. المشاركة عندما تكون المشاركة فعالة.

. التوافق عندما يكون التوافق منقذًا.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسئوليَّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

قوّة الإرادة:

الإرادة قوّة من يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار ومن دون تردّد؛ ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكلّ وعي وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد

والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدرة، وقرار، وتنفيذ، ومسئولية، وتهيئ نفسي.

وبطبيعة الحال من يمتلك اتخاذ القرار يمتلك الإرادة الممكّنة من اتخاذه، ومع أنّ القرار يتّخذ، ولكن اتخاذه لم يكن الغاية، بل الغاية الإقدام على تنفيذه، وتحمّل ما يترتّب على تنفيذه من دفع ثمن شريطة ألَّا يقدِّم الإنسان نفسه إلى التهلكة.

وتكمن قوّة القرار في اتخاذه بمسئولية، وفي درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره؛ ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافذا؛ وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ومن هنا؛ فلا تتحقّق المنجزات ولا تحدث إلا بقرار؛ أي: لا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقّع هو الوعي بما يجب؛ أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فهو عدم الوعي بما يجب.

ومع أنّ كلّ شيء بقرار ولا شيء من دونه، فإنَّ القرار لا يخرج عن كونه في دائرة الممكن (متوقّع أو غير متوقّع)، وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن. إذن لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع؛ ومن لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبل رفيع، ومن لا يُسرع قوّة وتدبّر لتحدّي الصّعاب لن يجد له مكانًا ليضع قدميه عليه أمام

الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرّصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويّا وكان تنفيذه قويّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُّقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة القرار بقوّة اتخاذه.

ولذا فقوّة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.

. قوّة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه لكلّ من يتعلق الأمر بهم أفرادًا أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقّعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابًا لكلّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوّة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوّة القرار ذاته.

. قوّة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوّة التنفيذ.

. قوّة الهدف.

. قوّة الخطة.

. قوّة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السّلبيَّات.

. الاقتناع وعدم التردّد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسئولًا عما فعل بإرادته سواء أكانت مسؤولة أم إنّها غير مسؤولة، وعلينا أن نميّز بين المسئولة وغير المسؤولة.

– الإرادة غير المسئولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

– الإرادة المسئولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا فلا إرادة دون موضوع واضح؛ ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّئ واستعداد وتأهّب.

فالإرادة مسئولية والمسئولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا}17، ولنا أن نقول: إنّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسئولية التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط؛ لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدّسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسئولا لأنّه لابدّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله18.

تقويض الإرادة:

التقويض إحاطة ومحاصرة لا تسمح للإرادة أن تتمدّد بحرية؛ فهي تحدّ منها أو أنّها تمنعها منعا باتا؛ فالإرادة على الرّغم من أنّها قيمة إنسانية حميدة، ولكنّها عبر التاريخ تتعرّض إلى التقويض.

ولهذا نزلت الرسالات الإلهية من أجل تحريرها من ذلك التقويض الذي جعل النَّاس يتّخذون آلهة من دون الله؛ فكان التوحيد كسرًا لتلك القيود والأطواق من أجل حرّية الإنسان، ولكنَّ الصراع بين الخير والشرّ لم ينته بعد مع أنَّ الحقُّ أصبح بيّنا والظلم بيّنا؛ فاهتدى من اهتدى، وكفر من كفر، وأشرك من أشرك، وضلّ من ضلّ، وطغى من طغي؛ فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبلا، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ سبيلا؛ ولهذا الصّراع والصّدام بين المصلحين والمفسدين دائما يشتدّ إلى أن يحسم الأمر الذي به تتخلّص الشعوب من أولئك المارقين.

فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النَّاس بإرادة ضالة، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن

---

[17] الأحزاب: 72.

[18] منطق الحوار ص 173.

الكريم: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}19؛ فهؤلاء لا يرون شيئا يعلو على رؤاهم، ومن يخالفهم في رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد والمكر والدّسائس حتَّى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق إليه؛ ليدان بتلك القوانين التي سُنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعية، ترفضها الإرادة الإنسانية كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وبين ممارسة الحرية بأسلوب ديمقراطي؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، ومن قيّد النَّاس بها، ومن أمر بوضع القيد في الأيدي والطوق في الأعناق.

ولأنّ الإرادة قوّة فاعلة متى ما أطلق لها العنان بلا مظالم؛ فهي على علاقة قوّة مع قيمة الرّفض؛ فالرّفض كونه فعلا متحقّقا لا يكون إلّا عن إرادة؛ ولهذا فالإرادة هي القوّة الدافعة للإقدام على الفعل؛ فالفعل في دائرة الممكن يتحقّق بالقوّة، ولكنّه ليس دائما متحقّقا بإرادة، فالإكراه والإجبار يقودان إلى تحقيق الفعل بالقوّة حتَّى ولو كان الفاعل غير راضٍ.

أمَّا إذا بلغ حال الفاعل درجة الرّفض فإنَّ الإرادة تكون ضمنيّا متحقّقة بفعل الرّفض؛ فالرّفض قول يقال في مواجهة أو عن خطاب ورسالة، أو أن يكون فعل متحقّق عملًا وسلوكًا على أرض الواقع.

ولأنَّ الإرادة إشهار عزم مع وضوح نيّة؛ فالرّفض كونه فعل متحقّق قولا وعملا وسلوكا؛ فهو المعبّر الحقيقي والموضوعي عن مستوى الشخصيّة

---

[19] غافر: 29.

الرّافضة، وهو المظْهر لوجهة نظرها ومدى تمسّكها بقضيّتها إنْ كان الرّفض خير معبّر عنها بإرادة.

وهنا تصبح الإرادة إعلانا صريحا عن امتلاك الرّافض لزمام أمر الرّفض، ممّا يجعل الملاحظين والمقوِّمين خير واقفٍ على المشاهد والملاحظ الذي يعكس حقيقة الرّفض عن إرادة.

فالإرادة قيمة مشيئيّة اختيارية تتمركز على الرّغبة والوعي، ومع أنَّ الإرادة موجبة فإنَّ المترتّب عليها اختيارا قد يكون موجبًا وقد يكون سالبًا؛ فالإنسان بإرادته يؤمن، وبإرادته يكفر، أو يُشرك، أو يضل، أو يسرق، أو يكذب، أو ينافق، وكلّ هذه المتنوّعات اختيارية، ولكنّها قد تكون عن وعي، وقد تكون عن غفلة أو جهل، {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[20].

فقيمة الإرادة تصميم واعٍ يُمكِّن الفرد والجماعة والمجتمع من اتّخاذ القرار الذي يتعلّق بأمرهم، سواء أكان هذا الأمر سياسة داخلية أم خارجية أم سلما أم حربا؛ ولذا لا يُتّخذ القرار إلّا بعد معرفة تامّة بما يجب وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فبالإرادة تُحدّد الأهداف وتُرسم الخطط ويتمّ الإقدام على تنفيذها بكلّ حرّية.

وعليه: الإرادة هي قيمة الحرّية في اختيار الخير أو الشرّ أو اتخاذ المواقف المحايدة بأسباب عدم التبيّن، أو لأسباب الخوف والنّفاق، وبالتّالي لا حرّية من دون إرادة ولا إرادة من دون حرّية؛ فهنا تكون الإرادة قيمة حميدة

[20] الكهف 29.

ذات خصوصية؛ وذلك لتعلّقها بالإنسان الحرّ وعلاقاته بما يُقدَّم إليه من اختيارات متنوِّعة، وبما يرغب وما لا يرغب، أمّا الحرّية فيغلب عليها الطّابع السّياسي الذي قد يجد الإنسان نفسه معها في حالة تكيُّف حتَّى وإن كانت لا تمدُّه بما يحقّق له التّوافق.

وعلى المصلحين والتربويين وولاة الأمور أن يعملوا على تقوية إرادة الذين يتعلّق أمرهم بهم؛ حتَّى لا يكونوا منهزمين في أثناء مناقشتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، أو يكونوا مستسلمين لأمرٍ واقعٍ ليس بموجب، وأن يعملوا جادّين على تفطينهم من الغفلة التي قد تلمّ بهم وتبعدهم عن ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمْل مسئولياتهم دون إكراه.

وهنا، تُعدّ الإرادة قيمة تعاقدية بين التخيير والاستطاعة ينبغي أن تقوّى لأجل أن تتّسع الهوة بين الأفراد، وما يؤدّي بهم إلى الإكراه أو الإجبار والإقصاء؛ فبالإرادة تمارس الحرّية، وتتأكد السّيادة، ممّا يجعل النتائج المتوصّل إليها مرضية للفاعل حتَّى وإن كانت نتائجها سالبة.

ومع أنَّ الإرادة تُمكِّن من ممارسة الحرّية اختيارا، فإنَّ الإرشاد للحقِّ بالحقِّ حقّ على من يَعلم ويؤمن ويُدرك العواقب؛ فهناك القاصر والجاهل والمغرّر به؛ فلا داعي للإفساد، ولا داعي للتّسفيه، أي لا داعي أن يسفّه الحاكم إرادة الشّعب في التعبير عن رأيه، ولا داعي للقمع بما أنَّ الإرادة لم توظّف في باطل أو سفك دمٍ بغير حقّ.

ثمّ من واجب المتعلِّم أن يُعَلِّم ويُعلِم من لم يتعلَّم ولم يَعْلَم بما عَلِم به من معارف خيِّرة تسهم في تقويّة الإرادة وتوجّهها لما يفيد وينفع الجميع، وعلى

أولياء الأمور حقّ الرّعاية الحقّة؛ فالأنبياء من قبل بشّروا وهدوا وبلّغوا ما أُنزِلَ عليهم من وحيٍ وحرّضوا به الأقوام والشّعوب والقبائل وسكان القرى والمدن والكافّة، وتركوا للإنسان الحريّة الإراديّة في الاختيار طاعة لأمر الله؛ ولذا فمن يطع الله لا يمكن أن يقبل بطاعة من دونه إلّا لأمرٍ هو جزء منه، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}21.

ومع أنَّه في دائرة الممكن امتلاك الإرادة هو امتلاك للحرّية الشخصيّة، فإنَّ هذه الحرّية لا وجود لمطلقيّتها؛ فالإطلاق أمره بيد خالق الإطلاق؛ ولهذا بالإرادة في الحياة الدّنيا هناك من كَفَرَ وهناك من يكفر، أمَّا في الحياة الآخرة فلكلٍّ حسابه ثوابا أو عقابا، ولأنَّ الإرادة فضيلة خيّرة أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسّلام أن لا يفرض شيئا على النَّاس، بل عليه البلاغ، وعليه بالمشاورة في كلّ أمرٍ يتعلّق بالنَّاس، ثمّ جعل من بعده أمر النَّاس شورى بينهم حيث لا إكراه في الدين، {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}22 ثمّ قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}23.

إذن كلّ مقيدو الإرادة عبر التَّاريخ هم معادون لممارسة الحرّية ديمقراطيًّا، ولهذا فالزّمن كفيل بترويضهم، وفي المقابل إرادة الشّعب متى ما تمكّنت من المبادرات المفاجئة حقّقت نصرًا.

ومع أنَّ الإرادة لا إكراه فيها فإنَّ المعرفة الحقّة تُسهم إسهامًا كبيرًا في استنارة الإرادة بالموجبات تحليلا وتحريما، ونفعا وضرا حتَّى يتمَّ الأخذ بما يجب

---

[21] البقرة: 256.

[22] آل عمران: 159.

[23] الشورى: 38.

عن إرادة ووعي، ويتمّ الانتهاء عمّا لا يجب إرادة ووعيًا؛ ولهذا فبالإرادة يتمّ تبيّن الحقَّ والحكم به عدلا وكلّ في دائرة الممكن حسب الاستطاعة.

ولأنَّ الإرادة لا تقبل ظلما؛ لذا وجب سيادة الاعتبار بين الأنا والآخر حتَّى لا تتصادم الإرادتين؛ فليس كلّ ما يُراد بإرادة يجب أن يؤخذ أو يتمّ، بل يجب أن يُقدّر الآخر الذي يمتلك الإرادة ومعطياتها ومستوجباتها كما يمتلكها الأنا، وإن لم تراع قيمة الإرادتين تقديرا واعتبارا واعترافا يحدث الرّفض وقد ينجم الصدام، {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا}24.

في هذه الآية الكريمة شرطين للإرادة:

. الشرط الأوّل: على المرأة بقوله تعالى: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) أي: إنَّ وهبت نفسها إرادة للنّبي أن يستنكحها.

. الشرط الثّاني: على المرأة أيضا؛ فإن كانت بإرادتها قد وهبت نفسها للنّبي؛ فعليها أن تحترم وتقدّر إرادته تجاهها (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)؛ أي: عليها أن تعرف هل هو راغبٌ أن يستنكحها؛ فإن كان راغبًا تطابقت الإرادتان، وإن لم تتطابق الإرادتان؛ فعليها تقدير ذلك تقديرا عاليًا؛ ولهذا عند المسلمين عقد النّكاح يستوجب الموافقة الإرادية من المستهدفين بعقد النّكاح؛ لتكون قيم الاحترام والاعتراف والتقدير والاعتبار سائدة بين الأنا والآخر (الزّوجين).

---

[24] الأحزاب: 50.

والإرادة معرفة ووعي بما يجب وبما لا يجب، وهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسئوليات، وهنا تكون الإرادة وثيقة الصّلة وعيا بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهان بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع؛ فلا داعي للغفلة ولا داعي لاستغفال الآخرين.

ولأنّ الإرادة قيمة إنسانيّة؛ فهي حاجة لكلّ إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي؛ فبها تُشبع الحاجات التي ستظلُّ مشبعاتها مطلبًا إلى أن يتمّ الحصول عليها إرادة أو أن يتمّ انتزاعها بالقوّة انتزاعا.

إنَّ الإرادة المسئولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ لا يترتّب ندم عليها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية تعيد الأمور إلى ما يجب، وفي مقابل ذلك استثناء إفسادي يؤدّي إلى ما لا يجب، وللتوضيح نقول:

القاعدة الإصلاحية: هي التي تقود إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ ممّا يجعل النَّاس يتمسّكون بما يتعلّق بشئونهم، ومنها:

. التّمسك بالدِّين والدِّفاع عنه، حتَّى ولو كان بعض المنتمين إليه غير ملتزمين بأداء معتقداته.

. صون العِرض والدّفاع عنه.

. التمسّك بالهوية والدّفاع عنها.

. صون الوطن والدّفاع عنه.

. ممارسة الحقوق وأخذها بإرادة أو بقوّة.

. أداء الواجبات في مقابل حقوقٍ تمارس، وتأديتها بإرادة أو بقوّة.

. حمْل المسئوليات يجعل المواطن مركزا ولا آخر غيره.

. إصلاح الأرض وإعمارها وسلامة بيئتها بُعد إنساني ومسئوليّة عامّة.

. تعلُّم المفيد والأخذ بما هو مفيد يؤسّس للموضوعية قاعدة بين الأنا والآخر.

وفي مقابل هذه القواعد تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا أو الآخر، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه مهيمنا في خانة الاستثناءات مطاردا حتَّى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتَّى وإن نصَّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات؛ ولذا سيظلُّ مطاردا بالقوّة حتَّى يعود إلى ما يُرسِّخُ تلك القواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية عن إرادة.

ولذا فكلّما اشتدت المطاردة واشتدّت التأزّمات وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات أصبح الموت عندهم مطلبا مع

توافر الرّغبة؛ ولهذا يفقد الشّرطي سلاحه والواعظ حُجَّته التي بها يلاحق الآخرين ويصبح هو الضحيّة بلا ثمن.

وعليه: فالموت الذي هو سلب الحياة، يتحوّل إلى قيمة عالية تنال الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح بتحرير الوطن أو صدّ خطر يحاك ضدّه أو ضدّ الشّرف والدّين والقيم الحميدة والفضائل الخيِّرة.

إنّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل أو الإقدام عليه؛ فيدفعون الثَّمن مضاعفا حتَّى يكتشفون ما يجب ليتخذوا إليه سبيلا، ويكتشفون ما لا يجب وينتهوا عنه إرادة دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التأزُّمات تأزُّما، ممّا يرتِّب على هذه التأزُّمات أفعالًا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تملؤها المفاجآت التي في كثيرٍ من الأحيان تكون نتائجها مؤلمة.

ولأنَّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار؛ فهي تمتدّ لتنفيذه، وإلى الأسلوب المناسب لذلك، والطريقة التي تُتَّبع إجرائيًّا وسلوكيًّا حياله؛ ولذا فالإرادة دائما سابقة على الفعل وبها يُنفَّذ، أي: لو لم تسبق الفعل قد لا يُنفّذ أو يُنفّذ بأثر سالبٍ؛ ولهذا فالإرادة قوّة موجبة لا ينبغي الإغفال عنها، وعن أهميّتها، وعمّا يترتّب على أوجه استخداماتها المتعدّدة.

ولأنَّ التنفيذ فعل؛ فقد يكون تنفيذه بإرادة، وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلٍّ ردّة فعلٍ موجبة وسالبة ولكلٍّ ثمنه، ولأنَّ ثمن الإكراه سالب؛

فيجب الانتهاء عنه حتَّى في الدِّينُ المنزَّل من عند الله تعالى، حيث لا إكراه في الدين، ولهذا بالإرادة ينبغي أن يُقيِّم الأنا والآخر ما يفعلون وإلّا سيتعرَّضون إلى التقويم الذي لا يكون إلّا حيثما يكون الاعوجاج.

التقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة لزمانٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتّقِ الحقَّ يجد الحقُّ له مُخرِجا، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم، ومن لا يقبل سيكون الزّمان كفيلًا بترويضه كما روَّض كثيرًا من الطّغاة.

وعليه: لا قيمة لممارسة الحقوق من دون إرادة، ولا قيمة ولا أهمية لأداء الواجبات ما لم تكن عن إرادة، ولا قيمة وأهميّة لحمْل المسئوليات ما لم تكن هي الأخرى عن إرادة، أي: لا قيمة ولا اعتبار ولا تقدير ولا اعتراف لأي شيء بالإكراه والإجبار والإرغام بغير حقّ.

مُدعِمات الإرادة:

الإرادة قرار قابل للتحقّق، والمحفِّزات القيمية تدعمها تجاه تنفيذ الفعل متى ما كان التهيّؤ حلقة من حلقاتها ومن هذه المدعمات:

سلامة القصد: القصد هو مدى سلامة النيّة الدّافعة لإظهار فعل الإرادة قولا وعملا وسلوكا؛ فإن لم تكن المقاصد واضحة قد توصف الإرادة بما لا يتطابق مع الفعل الظّاهر إرادةً؛ ولهذا ينبغي سلامة القصد حتَّى تتجسّد الإرادة فيما يتمّ الإقدام عليه من أفعال مستهدفة الإنجاز.

وضوح القيمة: الإرادة قيمة عندما تكون محرّرة من القيد، وهي تسبق أيِّ فعل ينال التأييد والاعتراف والتقدير العام، ومن هنا فإنَّ وضوح القيمة

يحفّز الإنسان على اليقظة والاندفاع بمسئوليّة تامّة قرارا وتنفيذا مع القبول بما هو مترتّب على تحرير الإرادة.

وضوح الهدف: وضوح الهدف في ذهن الإنسان يحفّزه على تحقيقه وفقا لِما يجب، أمَّا غموضه؛ فلا يجعله إلّا متخبّطا بين إقدام وإحجام، وهنا توجب الضّرورة وضوح الهدف أوّلا في عقل الإنسان الذي يمتلك معطيات اتخاذ القرار، ثمّ بعد ذلك يتم الإقدام على تحقيق الهدف في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

سلامة الغاية: ولأنَّ الأهداف يتمّ تحقّقها؛ فالغايات البعيدة يتمّ بلوغها؛ ذلك لأنَّ الغايات هي المقصد البعيد المترتّب على تحقيق أهداف وإنجاز أغراض، ممّا يجعل الغايات مكمن الحلّ الذي يأمله الإنسان عن إرادة وقصد.

معرفة الصلاحيات: الصلاحيات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به للمسئول الذي عندما يفعل يكون مسئولا مُقدَّرا، وعلى الخصوص عندما تكون الصلاحيات شرعية مستمدّة من الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة، ومن يودّ أن يكون مسئولا يجب أن يكون واعيا قبل أن يفعل وإلّا سيكون في دائرة الاستثناء ظالما، ممّا يستوجب رفض ظلمه ومواجهته عن إرادة من أجل الإصلاح، وإلّا الرّحيل.

. معرفة الاختصاصات: الاختصاصات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به؛ فعندما يلتزم المسئول بالحركة داخل مجال الامتداد الموضوعي يعدّ متّزنا ومعتدلا في الحركة الموجبة، وعندما يخرج عن ذلك يقع في دائرة المحاسبة

والمساءلة؛ حيث تعدّ أفعاله سالبة أو منحرفة أو متطرِّفة، ولكي تؤدّى المسئولية بإرادة في دائرة الإيجابية ينبغي أن تتماثل الصلاحيات مع الاختصاصات، ومن يعمل بغير اختصاص لا يستغرب إن واجهه قَصَاصٌ شديد في الوقت غير المتوقّع.

التبيُّن عن وعي: التبيُّن عن وعي نشاط ذهني فكري للعقل يدلّ على وجود علاقة بين الأنا والموضوع، وبه يتمكَّن الإنسان من المعرفة والدّراية التّامة، كما أنّه يُمكِّن من التمييز والمقارنة وحُسن الاختيار بين الأفعال الموجبة والأخرى السّالبة، ومن لم يُميِّز بين هذا وذاك لا يظنّ أنَّ الآخرين لا يميِّزون، وعندما يبلغون التمييز الحقّ لن يتأخروا عن الإقدام على الإصلاح وقبول دفع الثّمن الذي لا يُخيفهم في شيء، يقبلونه بإرادة حتَّى ولو كان ثمنه فقدان حياة.

بلوغ الإدراك: الإدراك غاية الشّيء والإحاطة به هو كما هو، فمن بلغ الشّيء أدركه معرفة وحسًّا، ومن بلغ ذلك وجب عليه حُسن التصرُّف فيما أدرك، ولا ينس أنَّ غيره إن أدرك أنَّه أدرك ولم يتدارك الأمر إعمارًا وإصلاحًا أو تربية وإرشادًا وحفظًا من الفساد والإفساد، سيجد نفسه بداية ملامًا، ووسطًا مهملًا، وفي النهاية يُحكم عليه بأنّه منحرف يستوجب التقويم بكلّ الوسائل إلى أن يشهد الحقّ، أو أن يكون الحقّ شاهدا عليه، ومن ثمّ؛ فالموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة عالية تنل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح بتحرير الوطن أو صدّ خطر يحاك ضدّه أو ضدّ الشّرف والدّين والقيم الحميدة والفضائل الخيِّرة.

وعليه:

إنّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم؛ فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل أو الإقدام عليه؛ فيدفعون الثَّمن مضاعفا حتَّى يكتشفوا ما يجب ليتخذوا إليه سبيلًا، ويكتشفوا ما لا يجب حتى ينتهوا عنه دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التأزّمات تأزما.

ولأنّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار؛ فهي تمتدّ لتنفيذه بالأسلوب المناسب له، والطريقة التي تُتَّبع إجرائيًّا وسلوكيًّا حياله؛ ولذا فالإرادة دائمًا سابقة على الفعل، وبها يُنفَّذ؛ فهي سابقه تفكّرًا وتذكّرًا وتدبُّرًا، وهي لاحقة فعلًا مؤدّى.

ولأنَّ التنفيذ فعل؛ فقد يكون تنفيذه بإرادة وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلٍ ردة فعلٍ موجبة وسالبة، ولكلٍ ثمنه، ولأنَّ ثمن الإكراه سالب؛ فيجب الانتهاء عنه، ثمّ يجب أن يُقيّم السّلوك وما تمّ الإقدام عليه من قِبل من أقدم عليه إرادة، وإلّا سيتعرَّض أصحابه إلى التقويم الذي لا يكون إلّا حيث يكون الاعوجاج.

ولهذا فمن يقبل التقييم لفكره وحاله وظرفه يتمكَّن من فهم الحقيقة وتفهَّم ما يحيط به من ملابسات وتأزّمات، وكذلك يتمكِّن من التقويم الذي به يتمّ التصحيح وتغيير الأحوال إلى ما هو أفيد وانفع للجميع دون استثناء لأحدٍ على حساب آخر.

فالتقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة لزمنٍ وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمنٍ آخر، ومن يتّقِ الحقّ يتمكّن من معرفة الحلّ

ويمكنه الإقدام عليه إرادة، ومن يقبل أن يُقيِّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم.

وعليه:

الإرادة على المستوى الإنساني ذات علاقة بمراد (مطلبٍ أو هدفٍ أو غايةٍ أو مأمولٍ)، وهي لا تكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا إرادة المطلق جلّ جلاله؛ فلا حدود لها؛ كونه خالقها، وهو المهيمن، وأمره لا يكون إلّا نافذا.

ولأنّ الإرادة على المستوى البشري هي قيد البحث؛ فلا شيء يكون مرضيا إلّا من خلالها، وبالتالي فإنَّ أي تجاوزٍ لها يعد عائقًا أمام نفوذها؛ ولأنّها كذلك؛ فلا تهيؤ من دونها، ولا استعداد من دونها، ولا تأهّب من دونها، ولا فعل مرضٍ بدونها. أي: فلا إمكانية لممارسة الحرية من دونها.

إذن الإرادة يمكن أن تكون:

. إرادة مطلقة: وهذه إرادة الله تعالى: {اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}25، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}26.

. إرادة اتباع: وهي المأمور بها من عند الله لتكون في مرضاته طاعة، والقيام بها قيام بفرائض، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}27.

---

[25] البقرة: 253.

[26] البقرة: 117.

[27] الحشر: 7.

. إرادة اختيار: وبها الإنسان قد تميّزًا تدبّرًا وتفكّرًا وتذكّرًا، {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}28، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}29.

. إرادة دستوريّة وقانونيّة: تعطي صلاحيات واختصاصات مقيدة لمن يتولى منصبا مسئولا في إدارة دولة، أو شركة، أو مؤسّسة وما يشابهها. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}30. هذه الآية الكريمة تستوجب أن لا يغفل الإنسان الإرادة عن طاعات ثلاث:

. طاعة الله.

. طاعة الرّسول.

. طاعة أولي الأمر من النّاس (منكم): وهم الذين يتمّ اختيارهم إرادة تامّة ليكونوا أولي أمر؛ فتكون طاعتهم هي طاعة الأمر الذي أقرّوه النّاس، ثمّ انتخبوا أو اختاروا له من يتولى إدارته؛ فتكون طاعته مرتبطة بالتزامه بالأمر الذي هو من عند النّاس، أي: من الأمر الذي كلفوه به وكلفوه إليه، ليكون مسئولا، ولهذا فلن تكون له طاعة إذا خرج عن الأمر الذي هو من عند النّاس.

وهنا وجب التمييز بين أولي الأمر وهم الوالدين أو من يتولّى الأمر بعدهم من الأخوة، وأولي الأمر منك وهم الذي يتمّ انتخابهم بإرادة.

وعليه:

---

[28] آل عمران: 152.

[29] هود: 118، 119.

[30] النساء: 59.

. قوِّ إرادتك.

. امتلك إرادتك لتتمكّن من الإقدام.

. امتلك إرادتك تزدد قوّة.

. امتلك إرادتك تتمكّن من الاستيعاب.

. حفّز على ممارسة الحرّية حتى يتمّ التمسّك بالإرادة.

. استثمر الإمكانات المتاحة عن إرادة حتى يقوى رأس المال الاجتماعي.

. استثمر الطّاقات البشرية عن إرادة تمتلك قلوب النّاس.

ولانَّ الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة؛ لذا فمن يريد أن يكون قويًّا فعليه:

1 . أن يقوّي الإرادة.

2 . أن يصمّم عن وعي على ما يجب بلا تردّد.

3 . أن يبادر إرادةً وتهيؤًا واستعدادًا وتأهّبًا للإقدام على إنجاز الفعل.

4 . أن يخطط علميًّا؛ فالتخطيط العلمي يبعد عن العشوائيّة.

5 . أن يتحدّى الصّعاب؛ فتحديها يرسّخ قيمة الإرادة.

6 . أن ينتزع الخوف من نفسه؛ فانتزاعه يحرّر الإرادة.

7 . أن يتفاعل مع الجماعة على كلّ موجب حتى تترسّخ الإرادة.

8 ـ الإرادة تمكّن من المشاركة متى ما تهيأ واستعدّ و تأهّب النّاس إليها.

9 ـ التطّلع مع المتطلعين لكلّ مفيد نافع يفتح آفاق التقدّم أمام الارتقاء الإرادي.

10 ـ اتخاذ القرار عن إرادة يستوجب تنفيذه عن إرادة وإلّا ستكون الانتكاسة.

الإرادة تتحدّى الصّعب:

الإرادة مع أنّها قوّة يُمكِن أن تنجز ما لم يكن متوقّعا، فإنّها تفاديًا لما يؤلم تأخذ مساحة من التجنب، وهذا لا يعني أنّها تستلم له، بل إنّها تبحث عن كيفيّة التخلّص منه حتى لا يترك أثرا وفيه تكمن العلل.

ولأنَّ الارتقاء الإرادي ممكنٌ؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم بإرادة، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، و تأهّبًا، وعملًا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب إرادة) أمّا لاستثناء: (الاستسلام إليها قهرًا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فامتلاك الإرادة في دائرة الممكن يمكّن من الارتقاء، الذي فيه المواجهة موجبة مع ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ والاستعداد والتأهّب إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون ويستعدّون ويتأهّبون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة وهنا تكمن العلّة.

إذن؛ فمن تهيّأ واستعدَّ عن إرادة للعمل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه

والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ الإرادي للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ الإرادي متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول إراديًّا يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإن لم يعقب التهيؤ استعدادٌ؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلًّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنّه لا إمكانيَّة للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب إرادة يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء لا بدّ وأن يكون متأهّبًا لما يترتّب عليه من ردّات فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجأت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب

الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحًا مساندًا.

فالصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها إرادة مع مزيدٍ من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به.

ولذا فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملؤ نصفها، ومن هنا، وجب العمل إرادة على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء فالصّعاب إن لا تداهم ارتقاء، لا بدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد إرادة، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب إرادة) أمّا لاستثناء: (الاستسلام لها قهرًا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في

نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدي الصّعاب إرادة يُمكّن من أداء العمل الموجب، وكذلك هو إرادة لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدَّ لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه إرادة.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإن لم يعقب التهيؤ استعدادٌ فلا إمكانية، حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلًّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب؛ أي لا تحدّي بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب إرادة فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شئونك أو شئون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي

يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[31].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّ وقهرٍ للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث أنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة تحدٍّ ورغبة وإرادة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل إرادة تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي إرادة تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب إرادة تجد الصّعاب مستسلمة.

---

[31] الأحزاب 25.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب إرادة يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب إرادة لا بدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّات فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحًا مساندًا.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن إرادة بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون، حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل[32].

[32] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهُّب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 10 – 58.

التهيؤ

التهيؤ صحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غايةً أو أملًا؛ ولذا يعد التهيؤ يقظة انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل.

ولأنّ التهيؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفا، وتحقيق ما كان غرضا، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامًا، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيّؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي، ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثّمار لأنْ تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلّا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة

في الإنسان قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنَّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

. هيّئ نفسك لما يجب، حتى لا تقودك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك واعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

. فكّر حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل؛ فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقّع تجد المتوقّع بين يديك ميسرًا.

ومن هنا؛ فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئا مفعولا، ولو لم يكن الشيء متهيئا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا

عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن وعقل الذي سيفعله؛ فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النّاس لابدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد، ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين، ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائما يسبق إعداد العُدّة والفعل والسّلوك والعمل؛ لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان وعقول المبدعين لها؛ ولهذا لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليلًا شاهدًا بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه؛ من حيث كونه صلبا ومتينا وحادّا من أحد طرفيه أو حادّا منهما، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول؛ ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤاتها؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة؛ فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من

بعدها رسم الخطط المنفّذة، ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة حيث لا شكل له ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانية، فإنَّ أثره لا يكون سائدًا في النّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا مادّيًّا، أي: إعدادًا لِما يُظهِره وليس إعدادًا لإظهاره؛ ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبا واستعدادا.

إذن يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّة وعتادا واستعدادا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ وتهيئة القوّة العقلية ولفتها للمخاطر؛ بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن

المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرٌ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا كان أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل؛ ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابله؛ لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تولد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ لكونه إيقاظا عقليا؛ فإنّه يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ ومن دونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظا هو المحدِث للفعل والمحقِق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولمّ لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد عن كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهمية خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة، وفضائل خيّرة، تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه، وذلك بهدف غرس الثّقة المتبادلة، وبغاية تغيير الحاضر تجويدًا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

التهيّؤ في مواجهة التهيؤ:

ولأنّ التهيؤ حيويّة تتمدّد من السّكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيويّة ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيئ ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات فعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمُّ التهيّؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكل قوّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فمن تهيّأ واستعدَّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في

دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، أي: دائما عندما يتوافر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجّة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائما تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها؛ ولهذا يجب أن ينتبه الإنسان إلى الآتي:

. مراجعة القيم؛ لتثبيت المفيد والمرضي، وتصحيح المشوّه منها.

. مراجعة المناهج والمقررات التعليمية وجعلها مواكبة لحركة التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبيّة لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

. أن تكون المقررات التعليمية مستفزّة لعقول المتعلمين؛ حتى تشدّهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

. أن تكون عقول المعلّمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجدّدة، ومتفهّمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو

انعدمت كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجًا من القوى العقليّة والجسمانيّة والرّوحيّة وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح؛ لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وتُعد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار؛ ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة من دون تهيؤ.

والتهيؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنَّ أصحابه الذين تهيؤوا إلى ما تهيؤوا له هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير؛ ولهذا فعلى من يتهيأ لما يشاء ألا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

. الفضائل الخيّرة.

. القيم الحميدة.

. المقررات الناجحة.

. الحواضن الاجتماعيَّة الواعية.

. وسائل الإعلام المرشدة.

. مراكز البحوث المتقدّمة.

. الأندية الرّياضية المتطلّعة.

. مراكز التأهيل والتدريب المعدّة تقنية.

. الأفكار المتفتّحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل، إذ إنّ العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكريّا ثمّ تدفعه سلوكيّا ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب؛ لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجِّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيا عليه، وأمَّا إذا اشتدّت العاطفة فإنَّها تستدعي

معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثّرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورًا داخليًّا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطًا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز؛ ولذا عندما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى، أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يُقدم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيئا له ما كان متحقّقا أو منجزا؛ فغير المتوقّع لو لم يتهيأ له، وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلا منجزا بين الأيدي.

والتهيّؤ قيمة حميدة يجعل الإنسان على حالة من التطلُّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقّع قبل وقوعه.

فالتهيّؤ يعكس إدراك الإنسان لِما هو ممكن وفقا للواقع الذي سيكون عليه؛ ولهذا يكون الإنسان منتظرا الزّمن الذي سيأتي؛ ليقدم على الفعل في أثناء وجوب أدائه، وفقا للخطة المرسومة والمعتمدة دون تأخير، ومن هنا نجد المتحفِّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحقّقون المنجزات بجهود تبذل.

والتهيّؤ كونه تخمين في لحظة الصّحوة دائما يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ فمن دونه لن يكون العمل أو الفعل إلَّا وظيفة لا تؤدّى إلَّا بمقابل، ولا تُقدَّر إلَّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ هو المحدِث للفعل والمحقّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

وكلما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضيّة الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فإنَّ التهيّؤ لا يكون إلَّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليّة

والجسمانيّة والرّوحيّة، وهي في آنٍ واحدٍ تُعدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرُّوح؛ لتكون متهيّئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت، وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

والتهيؤ لا ينجز الفعل مباشرة (بمجرد اكتمال التهيؤ أو وضوحه) بل التهيؤ يزيح العقل من التخمين في الشيء إلى البحث عن العدّة، ثمّ الاستعداد لما يأمل أن يقوم به أو يواجهه أو يفعله؛ أي لا يمكن أن يكون التهيؤ غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أعظم وهي بلوغ المأمول.

ومن هنا تُحدّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف؛ إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار عن وعي ودراية معرفية مع حسن تدبّر.

ولهذا فمصادر التهيّؤ بالنّسبة للإنسان، هي الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل؛ إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي على الإنسان أن يتهيأ لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجآت المؤلمة؛ فتتبدّل أحواله من حالة المبادرة إلى حالة البحث عن منقذ.

وبالتالي ينبغي أن يبحث الإنسان عن أملٍ له يشغله اهتماما وتفكيرا حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلّا.

مكوّنات التهيّؤ:

التهيؤ كونه قيمة عقلية ونفسية؛ فهو الممكّن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النُّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّى أو يفعل أو ينجز أو يتمّ الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات قابلة للاستفزاز بما هو مشاهد ومجرّد، ومن هذه المكوّنات:

تهيّؤ مادّي عقلي:

مع أنّ العقل هو مصدر التهيؤ، فإنّه ذاته في حاجة لأن يهيأ، فإنَّ العقل بطبعه يمكّن من التهيؤ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العقل إلى ملكاته مراجعة وتقييمًا؛ حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العقل متوقّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقّع مثلما وجب التفكير في المتوقّع؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، خُلق مقوّما على الهيئة والصّورة: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ}[33]، أي: خلقك على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيّرا في مشيئته تعالى، أي، في خَلقك كانت الصّورة التي أنت عليها تمشي سويّا والتي تستوجب حُسن الخُلق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملا يحتذى به.

[33] الانفطار: 7، 8.

إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي، واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة الماديَّة والجانب الذّهني.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملك الحواس جميعها؛ فمن دونه مفاتيح السّيطرة تُفقد من على كلّ الحواس؛ فلا القدمان يمشيان كيفما يجب، ولا العينان تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير عقل سليم يضبطها توجيها وسيطرة؛ ولهذا جاء التهيؤ العقلي خَلقا مميّزا للإنسان الذي خُلق في أحسن صورة؛ أي إنَّ العقل لم يُخلق على الخُلق، بل الخُلق لا تكون إلّا مكتسبة؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلا لأنْ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلا لأنْ يعمل لابدّ وأن يعمل، وهكذا؛ فالإنسان مهيأ خَلقا ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السُّفليَّة والدّونيَّة طمعا أو ضعفًا وشهوةً. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولِمَ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبئا على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتهيؤ.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، فإنّه اختيارًا انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندمًا، فاستغفر لذنبه، فتاب الله عليه، ذلك لأنّه المخلوق على الارتقاء، ولكن بعلّة الشّهوة اختار أن يسلك سلوك المنحدرين دونية؛ فأصبح النّعت سُفليّة يلاحقه منذ تلك السّاعة التي انحدر فيها، حيث لا منقذ له بعلل الاختيار انحدارا.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النّشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه وحُسن خُلقه، ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء، فإنّه انحدر رغبة وغفلة، ثمّ انتبه لأمره ارتقاء؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، وجعله من المكرّمين، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[34]. ومع أنّهم المفضّلون، فإنّ البعض غير مقدّرٍ لهذا التفضيل؛ فمنهم من ضلّ، ومنهم من اهتدى، وهم لا يزالون مختلفين وسيظلون كذلك، أي: متى ما هيّأ الإنسان نفسه إلى الإقدام على الموجب أصبحت أفعاله موجبة، ومتى ما هيّأ نفسه إلى السّالب أصبحت أفعاله سلبية.

[34] الإسراء: 70.

وعليه: فعبر التّاريخ والمنحنى التكراري للسّلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود؛ فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاء (سويًّا) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدر إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة؛ فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانية، بل هذه قابلة لأنْ تكون جزاءًا من سلوكه إذا تهيّأ لها، وهذه لا تكون إلّا من تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل تلك التي تمشي مكبّة، {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}35، ومع ذلك، انحدر دونية عمّا خُلق عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشّجرة، ومن هنا كانت النقطة الصّفرية التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسّلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفرية من دونية إلى علوٍّ ورفعة، بل كانت من علوٍّ إلى دونية، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقا لما هيّأ الإنسان نفسه إليه دونية وانحدارًا؛ فهو الذي خالف حُسن الخَلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق والتي إن تهيأ لها كانت صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلّا السُّفلية والانحدار الذي لا يليق بمن خُلق على حُسن التقويم.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، فإنّه اختيارا انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فتهيأ للاستغفار

---

35 الملك: 22.

فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه بعد أن هيّأ نفسه إلى الإصلاح والعمل الممكّن من بلوغ الارتقاء والتهيؤ إلى ذلك المأمول.

ولهذا؛ فمكوّنات التهيؤ لم تكن مقتصرة على الوجود المادّي فقط سواء أكانت المادّة (ماء، أم نارا، أم هواء، أم ترابا، أم إنّها مجتمعة)، بل كان الكون بأسره بين مادّة تلمس ومادّة تحتاج إلى معرفة، وبين روح يصعب إخضاعها للمشاهدة، وبين عقل يدرك كلّ شيء في دائرة الممكن، وبين نفس تتأثر سلبا وإيجابا كما أنّها تؤثّر في غيرها سلبا وإيجابا؛ ولهذا فالكون مبنيّ على معطيات تتعدّد ويصعب عدّها، سواء أكانت طاقة، أم مجرّات، أم فراغا وظلمة، أم نجوما وكواكب، وهذه جميعها تتمدّد بين المستحيل بلوغا، والمعجز نشوءا ومعرفة، والممكن تيسيرا وصعوبة.

تهيّؤ مادّي نفسي:

التهيؤ المادّي النفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيأ والمأمول، وبين الصدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء. وبين التخطيط والإقدام على العمل.

والتهيؤ المادّي لا يكون إلّا ملموسا على أرض الواقع وجودا، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النفس؛ فالنفس متى ما كانت مطمئنّة تحفّزت إلى التدبّر الممكّن من العمل المنتج نفعا.

ومن ثمّ؛ فإنَّ اشتراك الأعضاء الماديَّة مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ؛ فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف

ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات، منها:

– أن تكون خائفا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.

– أن تكون حذرا؛ فأنت مهيّأ لتركها وشأنها.

– أن تكون مرتهبا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات فإنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُّعبان؛ فالثّعبان لا يخيف، بل الثُعبان مُرهب، أي: إنَّ العاقل هو الذي يُخيف؛ لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل، ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي فالقاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي: إنَّ الصّاروخ والقنبلة النووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيء إلى أحسن كلّما أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، يدلّ على أنَّ الإنسان بين التسيير والتخيير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة

والاتباع)؛ ولذلك فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيأ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

. هيئ نفسك علمًا ومعرفةً.

. هيئ نفسك بنيةً.

. هيئ نفسك تطلّعًا.

. هيئ نفسك مشاركًا.

. هيئ نفسك متفهّمًا.

. هيئ نفسك مخيّرًا.

. هيئ نفسك مستوعبًا.

. هيئ نفسك منتجًا.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي:

التهيؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره؛ ولهذا كلّما هيأ الإنسان نفسه استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبات التهيؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين، فيكون في حاجة لمد يدّ العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبّر لا يمكن أن يكون مستقلًّا بذاته، بل لا يكون على الدّلالة والمعنى إلّا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النّوع من التهيّؤ أعلى من التهيّؤين السابقين؛ حيث تشترك فيه الأداة الماديَّة والانفعال النّفسي الذي مصدره الشّعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيّؤ؛ فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيؤون مادّيّا ونفسيّا وعقليّا للذود عن ديارهم وكرامتهم؛ حتَّى يردُّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم متهيّئون نفسيّا لردّ الاعتبار، ومتهيّئون ماديّا بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقليا برسم الخطط وفنون القتال وما يترتَّب على الحروب من نتائج في النّصر أو الهزيمة؛ ولذا تتداخل معطيات القوّة بين قوى النّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة تهيّئ لِما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراع ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيؤ المادّي والنفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطيط ورسم السياسات؛ تجنّبًا للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس؛ ولذا فلا ينبغي الإغفال عن أهمية التهيؤ المادي والعقلي والنفسي إن أردنا سلامةً ونجاحًا وتقدمًا.

وعليه:

. إن تهيأت ينسحب الجُبن من نفسك.

. إن تهيأت تنسحب الغفلة من عقلك.

. إن تهيأت ينسحب الخمول من بدنك.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهيأ له ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهيأة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسئوليَّات.

وعليه: فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النّادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليَّة؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أملا بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهيؤون بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاء يتهيأ الإنسان له مادّيًّا ونفسيًّا وعقليًّا حتى يكون عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيؤ للعمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع

حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسئوليَّة ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفلية والدّونيَّة التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيًّا.

والارتقاء لا يمكن أن يبلغه بني آدم إلّا إذا تهيأ ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا مع الرّغبة عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغه إلّا إذا تهيأ للظلم والتشدّد والتطرّف؛ ولذا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ من شاء الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفليّة[36].

فالإنسان عندما يتهيأ للنّهوض ينهض ويرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما يتهيّأ إلى الانحدار يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانية في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[37].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيمًا مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛

---

[36] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

[37] الأعراف 166.

فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيّة.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي:

عندما يكون التهيؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النفس العقل، أو يفارق العقل النفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية؛ ولهذا فالتهيؤ التّام الموجب هو الذي يمكّن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنفس المطمئنة.

إنّها المعادلة الرّباعيَّة التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيئ من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنَّه أقوى مستويات التهيّؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيّؤ الرُّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب، فضلا عن عناصر التهيّؤ الأخرى الماديَّة والنفسية والعقلية، ولأنَّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيَّات كلَّما تطهَّر من الغِل والحقد والكره والظلم والحسد، وكلّ ما هو ذميم من الخلق.

وعليه:

فالتهيؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليّة؛ وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة والعيش الرغد، ومن هنا، وجب

التهيؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

والتهيؤ مرحلة مخاض فيه الحيرة تلعب دور رئيسا في إيجاد مخرج منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقا إلى أن يستبصر أملا يستوجب عملًا، وجهدًا يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء؛ ولذلك فالبحوث العلميَّة ارتقاءً تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

ومن هنا؛ فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلًّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكنًا؛ حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلًّا بعد تهيؤ.

والحيرة تعدّ معطية عقلية تميّز الإنسان تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا، وتستفز الذاكرة بما هو محيّر حتى توقظها إلى ما يجب التهيؤ إليه انتباها، ومن ثمّ؛ فالفِكْر الإنساني يتمركز على نضج الفِكَر، وصوغها في قضيّة تجيب عن التساؤل الفلسفي المحيّر وهو: (كيف؟)؛ ذلك لأنَّ الفِكْر ملكة عقلية تثيرها مستفزّات المشاهد والملاحظ والمجرد على السّواء؛ فتتعامل معها تفحّصا بلا إشارة قف، ولكن وفقا للمقدرة التي لا تكون إلّا تهيؤا.

ولأنّ الكون قد هيّأ للحياة نشوءا؛ فنشأت الأرض فيه، ومنها الأزواج نشأت كما هو حال آدم وزوجه وغيرهما من الأزواج المعلومة وغير المعلومة، ثمّ

من بعد نشوء الأزواج جاء النشوء التزاوجي من الأزواج كثرة؛ وهذا ما يلفت الإنسان لعقله تفكّرا ليهيئ نفسه لإنشاء ما هو ممكن حتى يبلغ المعجز معجزًا والمستحيل مستحيلًا، أي: ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى كلّ شيء من حوله، ويتساءل:

. كيف خلقت الأشياء؟

. كيف كانت الأشياء أشياء؟

. ولماذا كانت على الاختلاف والتنوّع؟

أي: ينبغي أن تكون هذه التساؤلات معطية تلفت العقل الإنساني إليها لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة، حيث كلّما تهيأ الإنسان والتفت إلى الأشياء معجزة، اكتشف شيئًا جديدًا يمدّه بالمزيد من المعرفة؛ فالأرض كونها شيء مليء بالخامات والثروات الثمينة، فمن بلغها اكتشافا ومعرفة تمكّن من تشييد المزيد نشوءًا حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلًا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة ولا يتهيأ إلى المزيد من المعرفة؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا قلّة شأن.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيًّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِّنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[38]؛ ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

[38] البقرة: 37.

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبةً واختيارًا؛ ولذلك ينبغي أن يتهيأ بنو آدم ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

معطيات التهيّؤ للفعل:

معطيات التهيؤ للفعل هي تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجبن ليس له إلّا أن يرفض ويتهيأ لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب عليها، ولكن لا يتقبّله رغبة بل تحد تكون فيه المواجهة هي العنوان.

ومع أنّ منتجات التهيؤ مستفزّة، فإنّها لا تقتصر على سالبٍ، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن؛ حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ فمن النَّاس من يتهيّأ لأعمال الإصلاح والإعمار، ومنهم من يتهيّأ لأعمال الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ، وفي كلِّ الأحوال مع أنَّ التهيّؤ مرحلة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل فإنّه لا يمكن أن يكون تهيّؤا إلَّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

. الحاجة وما يشبعها.

. القيام بالفروض، واتباع السُّنن.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسئوليّات.

. نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.

. غرس الثقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدّين، أو المساس به وما يتعلّق به من أمور.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور، والعمل على طمس الخصوصيَّة.

. الاعتداء على الملكية الخاصّة ومصادرة الرّأي.

تقابل التهيّؤات:

العقل والفطنة والاحتراس والحيطة مفاهيم تتماثل ولا تتطابق، ممّا جعل للصدام والنزاع بداية ونهاية، فما يعتقده الأنا في بعض الأحيان صوابًا قد يجهله الآخر أو يغفل عنه، وما يعتقده الآخر صوابا قد يجهله الأنا أو يغفل عنه؛ ولهذا تتّسع الهوّة بين الأنا والآخر بالمعلومة الخاطئة، وتضيق بالمعلومة الصّائبة،

ولكلِّ حساباته، ومهما اشتدّت قوانين الاحتراس والفطنة والحيطة ومهما بلغ العقل من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر لا يكون مُحصَّنا من الوقوع في الفخِّ.

ولذلك فالتهيّؤات تتقابل عقلا وغريزة وكأنّها في مناظرة بين الأنا والآخر؛ فكما أنّ صيادا يتهيّأ لصيد الطريدة، عند مرحلة ما قبل الاستعداد للرّمي، فإذا وصل إلى مرحلة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتّالي فإنَّ الطريدة تتهيّأ هي الأخرى من خلال استشعارها الخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو الذي جعلها تتهيّأ من أجل الاستعداد للفرار؛ ولهذا فالحيوان يستمدّ تهيّؤه من غرائزه، أمَّا الإنسان فتهيّؤاته مرتبطة بالعقل الذي به يتطلَّع إلى المستقبل ويُميِّز بين ما يجب الإقدام عليه دون تأخير، وما يجب الإحجام عنه دون تردّد.

ولأنَّ التهيّؤ البشري لا يكون إلَّا عن دراية ووعي؛ فإنَّ الدّراية والوعي تستدعي تقدير الآخر واستيعابه، وتفهُّم ظروفه التي تتغيَّر مع تغيُّرات العصر والتطوُّرات التي بها يندفع إلى الأمام؛ لذا فوقت الفراغ عند الشّباب ما لم يُملأ بدراية لا بدَّ أن يُملأ بغيرها، وهنا قد تتولّد التأزُّمات بين من يدري ولم يتهيّأ لذلك، ومن لا يدري فلم يضع اعتبارا للآخرين؛ لذلك ينبغي أن يكون وقت الفراغ مهيّأ للنّفع لا للضّرر؛ فإذا لم يُحسَن استغلال أوقات الفراغ فإنّها تتحوّل إلى معطية لتدمير طاقات الإنسان، كأن يلجأ الشّباب إلى تعاطي المخدّرات، وتناول المسكرات، ممّا يجعلهم على حالة من القلق والملل والتوتّر، وإلى كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحراف أو التطرُّف.

ولذلك فالتهيؤات تتقابل في مساحة الحيرة العقلية والفكرية؛ فتتغلّب الواحدة على الأخرى في دائرة الاختيار؛ فيكون الظهور بما هو مقنع للأنا وقد يكون مرضي للغير أيضا، كلّ حسب معاييره المستخدمة في عملية القياس الممكّن من المعرفة عن بيّنة.

وعليه: لا عمل ينفع إلَّا بعد تهيّؤ للبناء والإعمار والإصلاح، ولا علم ينفع إلَّا بعد تهيّؤ لِما هو أعظم، ولا تربية تنفع إلَّا بعد تهيّؤ بالفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس لتهذيب الأخلاق وتقويم السّلوك، وبناء القدوة الحسنة المتّعظة والمتهيئة لأن توعظ الآخرين عن حُسن سيرة ودون أيّ إكراه.

فالتهيّؤ قوّة دافعة تجاه ما يجب من وجهة نظر المتهيّئ، وهو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور حتى يصبح بين أيدي النّاس قابلًا للمشاهدة والملاحظة، وهنا فالتهيّؤ هو الحالة التي يبدو عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسّالب (المتوقّع وغير المتوقّع).

صور التهيؤ:

للتهيؤ صورتان رئيستان، هما:

– التهيّؤ القبلي: وهو الذي لم يسبق لأحدٍ أن تهيأ به، إنّه تهيّؤ الإبداع، إبداع شيء لم يسبق وجوده؛ فاكتشف بأسباب الحاجة بعد تَمكُّن وغوص وبحث وتقصٍ مُعمَّق.

ولأنَّ التهيؤ دائما يسبق العمليات الفكرية؛ فهو المحفّز على إبداع الجديد، ومن هنا يظهر التنافس بين المتنافسين في أخذ السّبق ليكون الإبداع حقًّا لمن سبق غيره إبداعًا.

التهيؤ القبلي يسبق الصّورة، أي: إنّه المؤسّس لها فالصورة أو الشّكل الذي نحن عليه كان متهيّئا لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كلُّ ما خلق كان التهيّؤ سابقًا له ولأنَّ الأمر كذلك؛ فكل متهيّئ بالأمر كن، يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيّئا.

ولأنّ العقل هو مركز التهيؤ، وأنّ التهيؤ يحفّز على التدبّر؛ لذا تظهر العلاقة بين من فكّر حتى تهيأت له صورة المتهيء مع أنّها لا زالت مختفية في الذّهن؛ كونها لم تر الشّمس بعد، ومن يتهيأ عقله إلى استقبالها هيئة كما ظهرت في ذهن وعقل صاحبها الذي كان له السّبق في كشفها معرفة، لينقلها من الهيئة الذّهنية إلى الصّورة والشّكل المشاهد والملاحظ مع كشف قوانينها العلمية والعملية.

فنحن بنو آدم خُلقنا لنفكّر حتى نتبيّن؛ فإن تبيّنا فهمنا وعرفنا وارتقت عقولنا لمعرفة المزيد حتى وإن كان مجرّدا، ومع أنّنا لا نخلق، فإنّنا نستطيع أن نصنع من الشيء المخلوق أشياء تُخلق، فمتى ما تهيئت الأشياء في عقولنا إبداعًا، أبدعناها شكلا أو صورة؛ ولهذا دائما التهيؤ يسبق الأشياء وجودًا، فنحن لا نخلق (لا نصنع) شيئا إلَّا بعد تهيّؤ صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة وظاهرة للعيان؛ ولهذا فالتهيّؤ سابق على القول والفعل، ومن دونه لا يكون القول ولا الفعل؛ وبذلك محدث التهيّؤ هو محدث الفعل والنُّقلة.

. التهيّؤ البعدي: هو ذلك التهيؤ الذي يلاحق المخلوق مشاهدة ويلاحق المنتج إبداعا، إنّه تهيّؤ استدعائي، أي: إنَّ المعرفة قد سبق تلقّيها، وبالتّالي يمكن أن يتمّ استدعاؤها؛ فتستدعى، سواء أكانت معلومة أم صورة أم شكلًا من الأشكال التي وجدت الأشياء عليها مختلفة، أي يُمكن أن تكون الأشياء السّابقة في الذاكرة؛ فتستدعى بما يجعلها دليلًا شاهدًا بين النّاس الذين من حقّهم أن يخضعوها للاختبار والقياس والمنطق، الذي يقبلها حجّة إن كانت لها مصادق، وفي المقابل يواجهها بحجج إن كانت على غير مصادق تثبتها سابقة علمية (إضافة جديدة).

ومن هنا؛ فالبحث في مفهوم التهيّؤ لا يُعدّ من علم ما وراء الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، إلَّا أنّه بحث في التجريد، وإن كانت مرتكزاته واقعية، وطالما أنّه تجريدي؛ فإنّه يحتلّ المكانة الوسطى بين الواقعي والميتافيزيقي.

ولذا فإنَّ حدود معرفة التهيّؤ، تتوقّف على مستوى ملكات العقل، وبما أنَّ الملكات العقلية متفاوتة من شخص لآخر من حيث القدرات، ومتباينة من حيث الأفكار والمعلومات، التي تعتبر أساس البحث في مفهوم التهيّؤ؛ لذلك يكون الاختلاف في التصوّرات لدى النّاظرين فيه وفق ما يحمل هذا النّاظر أو ذاك من أفكار تنجلي له تصورات التهيّؤ في نفس المتهيئ، لمن يريد أن يقف على التهيّؤ، وهذا لا يغيّر من نفس التهيّؤ في نفسه شيئا، بمعنى أنَّ تصورك لحقيقة ما، لا يغيّر من حقيقة هيئتها شيئا، وإن تغيّر منها ما تغيّر فلا تكون تلك الحقيقة هي الحقيقة.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[39]، يظهر موسى عليه الصَّلاة والسّلام متهيّئا لتلقي الأمر من ربّه، ومتهيّئا للطريقة التي يتمّ بها كشف الجريمة، لذلك كان جوابه: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بينما قومه الذين لم يصلوا إلى مرحلة التهيّؤ بهذه الطريقة في إحياء الموتى: (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) ثمّ بعد ذلك طلبوا توضيحا يبيّن لهم معلومة تأهلهم للتهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ}[40]؛ فلمَّا لم يصلوا إلى تلك المرحلة استزادوا: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا}[41]؛ فلم يزل يزدهم إلى أن وصلوا إلى حالة التهيّؤ، أمَّا تهيّؤ موسى عليه الصَّلاة والسّلام؛ فهو ثابت على حقيقته قبل تهيّؤ قومه وبعد تهيّوئهم.

إنَّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وهيئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفلك الذي يدور فيه؛ فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرُّوح والنّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سلبها وإيجابها.

ومن ثمّ؛ فكلّما توافرت الأفكار والحجج تجاه القضية الخارجية، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وإذا تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي نقف عليه من خلال قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ

---

[39] البقرة: 67

[40] البقرة: 68

[41] البقرة: 69

عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}42، لقد كان التهيّؤ من موسى عليه الصَّلاة والسّلام للإجابة عن منافع العصا وفوائدها، إلَّا أنَّ تحولها المفاجئ إلى أفعى، دفع عاطفة الخوف للسّيطرة على العقل، عند ذلك تسمح الإرادة بالوصول إلى غريزة الفرار، غير أنَّ قوله تعالى: (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) ولّد تهيّؤا آخر لتحوّل الأفعى إلى عصا مرّة أخرى؛ فهذه العصا ليست كبقية العصيّ، وإنّما قد هيّأها الله تعالى لموسى عليه الصَّلاة والسّلام؛ لإظهار المعجزات من آيات الله تعالى، ومن جانب آخر هو تهيئة لموسى؛ لأنَّ هذه العصا سوف يكون لها شأن كبير بما هي مهيّأة له، ذلك أنَّ الموقف مع سحرة فرعون يحتاج إلى هذا النّوع من التهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}43، لقد كان موسى، مهيّأ للحدث وإن كان لا يعلم ماهيّته قبل حدوثه؛ فعندما خيروه بَيْن أن يبدأ فيلقي عصاه، أو أن يكونوا البادئين، وطلب منهم أن يكونوا أوّل من يلقي الحبال والعصي دليل على التهيّؤ لهم، وهو لم يحسّ الخوف من العصي والحبال التي انقلبت إلى ثعابين، ولكن من المحتمل أن يتلبس السّحر على النَّاس بالمعجزة؛ فألقى موسى عصاه؛ فإذا بها تنقلب بقدرة الله حيّة كبيرة

---

[42] طه: 18-21

[43] طه: 65- 70

مخيفة؛ لأنّها مهيّأة لهذا الانقلاب، وهو أيضا مهيؤٌ لتحوّلات العصا، وليس كالمرّة الأولى (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) وإنّما الآن أصبح لديه تهيّؤ كامل، وابتلعت كلّ ما أعدّوه؛ فلمَّا رأى السّحرة تلك المعجزة بادروا إلى السّجود موقنين بصدق موسى عليه الصَّلاة والسّلام، وهذا ما هيأهم الله إليه، وهكذا بالتهيؤ تحدث الأشياء أو تُصنع.

ولم تكن العصا مهيّأة لأن تنقلب أفعى فقط، وإنّما كان لها تهيّؤات مختلفة أوجدها بها المهيئ عزَّ وجلَّ حيث قال: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كلِّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}44؛ فأيّ عصا تضرب حجرا حتَّى ينفجر منه اثنتا عشرة عينا لو لم تكن مهيّأة لهذا الأمر؛ ذلك أنَّ قوم موسى أشرفوا على الهلاك من العطش وهم في صحراء سيناء، ولما لم يجدوا ماء، وشكوا ذلك إلى موسى، أمرَه الله أن يضرب الحجر بعصاه؛ فانفجر لهم الماء.

وأعظم من هذا هو تهيّؤ هذه العصا لفلق البحر وفرقه حتَّى ينجو بقومه عندما اتبعهم فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}45؛ فعندما ضرب البحر بعصاه، انفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني إسرائيل، وكان كلِّ طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم

---

44 البقرة 60

45 الشعراء 61- 63

الثابت الذي لا يطغي واحد منها على الآخر؛ فهذا تهيّؤ عصا موسى عليه الصَّلاة والسّلام.

وعليه: التهيّؤ هو مزيج من الوعي والمعلومات والأفكار وأشياء فطرية، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي (الوجدان) من قضية خارجية؛ فالإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقلية والجسمانية والرّوحية في آنٍ واحدٍ، وهي كذلك في الوقت ذاته حالاته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال التوتّر المتناسق لقوى العقل والجسد والرُّوح معا؛ فتكون على هيئة قادرة على بدء الاستعداد متى شاءت وأين شاءت.

كما يكمن التهيّؤ لدى الإنسان في العواطف التي لها صلة وثيقة بالغرائز؛ فالعاطفة هي التي تنشّط الغريزة، وتجعل الإنسان في وضع التهيّؤ، أمّا تجاوز التهيّؤ إلى الاستعداد وخروج الاستعداد إلى الفعل فهذا أمر تتحكّم فيه الإرادة نتيجة الاستنتاج.

ونستطيع أن نحدِّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف؛ إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ، والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار الذي يسعى به إلى عملية التنفيذ والعمل.

وأمّا مصدر التهيّؤ بالنّسبة للعاقل؛ فهي الأفكار المكتسبة المكوّنة للعقل؛ إذ إنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسة الأفعال المماثلة سلبًا وإيجابًا؛ فالإرادة هي التي تجعل من الإنسان راغبًا أو رافضًا وبلا ضغوط.

ولذلك فالأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلّما تكاثرت الأفكار في قضية ما، اشتدّت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقا من الفكرة يؤدّي إلى التهيؤ من أجل ما يمكن أن يفعل.

لذلك نقول: المتهيِّئات كامنة في العواطف بتعدُّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجّ نشاطه يسيطر على عواطفه، ويجعلها في حالة سبات، بحيث لا نشعر بوجودها، وأمّا إذا اشتدّت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصّة بالحدث بمؤثّرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليًّا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه، وعند صرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي دفعت التهيّؤ للظّهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى، أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوّة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه؛ وذلك عندما يمتصّ قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنَّ سيطرة العواطف على العقل

وتغلّبها عليه، هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيِّدة للإرادة، ولحظة الصّراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدافع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيّؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيّؤ؛ فلا تهيؤ إلَّا بإرادة، ولا إرادة إلَّا بتهيؤ، ولكن يظلُّ لكلِّ مصطلح خصوصية في المعنى والدّلالة حتَّى وإن اشترك مع غيره أو اتّحد؛ فالإرادة قرار والتهيّؤ تحفُّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتّخذ القرار.

ولذا فالتهيؤ دائما يسبق حتَّى يدفع لاتخاذ القرار الذي بدوره طبيعيّا لا يتخذ إلَّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يفعل، ولكن ليس دائما الاستعداد وإن سبقه تهيّؤ يؤدّي إلى القول أو الفعل؛ وذلك بأسباب حدوث الاستجابة قبل القول والفعل، كأن ينتقل الخصم الذي بسببه كان التهيّؤ والاستعداد للانتقال تفاديا لتوتّر المواقف التي لا تحمد عقباها، أو لحدوث غير المتوقّع في الزّمان والمكان المفاجئ، وأن يتمّ التّسامح في دائرة الاعتراف بالذّنب ووجوب المغفرة والتّسامح، أو أن يحدث الله أمرا، قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}46.

وهذا ما يفسّر لنا قوّة العقل بعد تسلّطه على العاطفة وفرض سيطرته عليها، وكذلك العواطف أقوى ما تكون عندما تكبح جماح العقل وتحجّمه وتخضعه لسيطرتها؛ فيفسح المجال أمام الغريزة، وفي هذه اللحظة أعظم ما يكون التهيّؤ على أشدّه عندما يصطدم بالإرادة التي هي باب الأفعال في الكبح أو السماح، ولولا فرض العقل سيطرته على العواطف لما كان له النشاط المعهود

---

46 الشورى 17.

من الحدّة والانتباه بعد تسكين العواطف واختفائها مؤقّتا كونها لا زالت قابلة للمستفزّات العقليَّة.

وعندما يأخذ من نشاطها تزداد ضعفا ويزداد هو قوّة وانتباها، هذا التبادل العكسي بين العقل والعاطفة إنّما جاء نتيجة المادّة المشتركة التي تغذي كلّا منهما على حدٍّ سواء، ألا وهي الأفكار، ويتجلّى ذلك في اتّحاد العقل والعاطفة، أو موافقة العقل للعاطفة كالحبّ والرّحمة مثلا، لأنَّ المنطق يفرض التّطابق الإيجابي، ولذلك يكون الإنسان سريع الاستجابة في مثل هذه المواقف لتطابق العاطفة والعقل في حال الاستنتاج الإيجابي؛ فتسمح الإرادة للتهيّؤ إلى أن يخرج إلى الفعل على وجه السّرعة، على العكس من المواقف التي يكون الاستنتاج فيها سلبي، أو ضرر يعود على الإنسان؛ لذلك يتأخّر اتخاذ قرار الإرادة بسبب التردّد؛ لأنَّ العقل يستغرق في الاستنتاج للوقوف على إيجابية النتائج، وفي هذا الموقف يكون التهيّؤ في أطول أعماره إذا قسنا ذلك بالزّمن، قبل أن تخمد العاطفة أو تسمح الإرادة بخروج التهيّؤ إلى الاستعداد، تلبية لنداء الغريزة.

ويتّضح التهيّؤ بوضوح العلاقة بين العقل والعاطفة والغريزة؛ فالجوع مثلا يؤدّي إلى سيل اللعاب وارتخاء المعدة، وهو تهيّؤ ناتج عن الجوع، وعاطفة الحزن عند اشتدادها تدفع غريزة البكاء للتهيّؤ، وكذلك عاطفة الفرح والسّرور تُهيّئ غريزة الانشراح والابتسامة والضّحك والانبساط، ولكنَّ العاطفة تدفع الغرائز إلى التهيّؤ، وهنا يتدخّل جزء من العقل وهو الإرادة في السّماح أو عدمه بالخروج لهذا التهيّؤ إلى وضع الاستعداد ثمّ إلى الفعل.

فالإرادة تقف حاجزًا أمام التهيّؤ، ثمّ تبدأ ملكات العقل بالتذكّر واستدعاء المعلومات من الذّاكرة، وتبدأ عملية مقارنة بين مخزونات العقل مع وضع التهيّؤ، ومن ثمّ تَعرِض هذا التهيّؤ على تلك المعلومات التي استدعتها الذّاكرة من الحافظة عن طريق التذكّر، وتبدأ عملية البحث عن القيم؛ بين حلال وحرام، ومكروه ومباح أو مرفوض...إلى آخر ما هنالك، وهنا يتكوّن الاستنتاج الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل، أو كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى تهدئة الغريزة، ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لفعل قد أريد.

والتهيّؤ في حدِّ ذاته معجزة من المعجزات الدّالة على قدرة الخالق القادر؛ فبالتّأمل في كلِّ ما حولنا نرى أنّه مهيّأ من قبل الواحد الأحد لاستقبالنا نحن البشر، ومهيّأ كذلك ليكون مسخّرًا ومذللًا لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيؤ من الله تعالى، هل كان بإمكان شيءٍ الاستقرار على سطح الأرض، أو أنْ يتم اكتشاف المزيد؟

وهل كان لنا نحن البشر من قهر الأرض بالحفريات وشقّ الطّرق بناءً وتعميرا وزراعة وغيرها من عمليات الإعمار والتعمير؟ وما نحن بالنّسبة إلى الأرض إلَّا كذرّة صغيرة من ذرّاتها، وما قدرتنا وقوّتنا بالمقارنة مع قوى الطّبيعة إلَّا كقوّة طفل صغير مع قوّة جمل ضخم أو فيل؛ فما الذي جعل الأرض تلين لنا، وتستجيب لإرادتنا لولا تهييئها من الله لنا؟

وهذا ما يتّضح من قوله تعالى للملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}47.

وهذا يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق كلَّ شيء في هذا الكون متهيّئا لما أراد الله تعالى أن يكون عليه، أو لأداء المهمّة التي أرادها الله من خلقه قبل أن يخلقه.

فلقد خلق الله تعالى الأرض وجعلها مسكنا ومستقرًّا للإنسان فترة معينة؛ وذلك بعلمه المطلق وقدرته التي لا حدّ لها؛ فجعلها مهيّأة لذلك؛ كي يعيش عليها، وهيّأ الإنسان نفسه لهذه الحياة؛ فالأرض مهيّأة لاستقبال الإنسان وسائر الكائنات الحيّة الأخرى وفقًا للآتي:

– نظام الجاذبية الذي تسير عليه الأرض؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقر شيء على وجه الأرض، ولما استطاع الإنسان أن يسير على وجهها ويتحرّك بكلّ يسر وسهولة في التنقّل.

– مهّد الخالق لنا هذه الأرض؛ فلم يجعلها جبالا متّصلة ببعضها البعض؛ فيعجز الإنسان عن المسير والحركة، وكذلك جعل فيها زوجين من كلِّ شيء لكي يهيئ الله تعالى الإنسان لفكرة الزّواج والتكاثر، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}48.

---

47 البقرة 30.

48 النبأ 6، 8.

– هيّأ الخالق الأرض لتهيئة الإنسان لإعمارها والإصلاح فيها، والمحافظة على ينابيعها، ونباتها، وشجرها، ومناخها، وكائناتها المتنوّعة؛ فهي مهيّأة في طبيعة خلقها بكلِّ مقومات الحياة التي أراد المهيّئ المطلق أن تنشأ عليها؛ ففيها المياه التي منها يكون كلّ شيء حيّا، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}49، وفيها الأكسجين الذي يتنفّسه كلّ الأحياء على وجهها، وفيها من الأملاح والمعادن ما يحيا به النّبات باختلاف أنواعه الذي يحيا عليه الإنسان والحيوان، وجعل فيها الجبال رواسي حتَّى لا تميل وتبقى ثابتة مستقرّة، وجعل لهم فيها سُبلًا وطرقًا ممهّدة؛ ليتمكّنوا من السير عليها بيسر وسهولة.

فالأرض مهيّأة من الله تعالى المهيّئ المطلق للحياة، ولكنّها ليست معدّة للزّراعة؛ فيأتي بعد ذلك الإنسان المستخلف فيها والمكلّف بإعمارها من أجل أن يعدّها للزّراعة وفقا لحاجاته ومشبعاتها في دائرة الممكن؛ فيعمل على حفر الآبار، كما يعمل على تسويتها وحراثها وتسميدها، ثمّ يزرع فيها ما أراد من البذور، ثمّ يتوافق تهيّؤ الأرض للحياة مع تهيّؤ البذرة أيضا للنمو والإفادة من الأرض؛ فتخرج بذلك النباتات بأشكالها وأنواعها، وهنا؛ فالتهيؤ هو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور وفقا لأمر الله، ووفقا لما يبذل من جهد إعماري وفلاحي وصناعي.

---

[49] الأنبياء 30،31.

– هيّأ الشّمس للقيام بالوظائف التي أرادها منها؛ وهي إعطاء الضوء المناسب للحياة على هذه الأرض، وكذلك الحرارة المناسبة لاستمرارها؛ فهي ليست بالمحرقة ولا المجمّدة لبعدها، وكذلك تقوم بقتل كثير من الميكروبات والبكتيريا التي لا ترى بالعين، والتي قد تسبّب الأمراض للإنسان والحيوان، وهذا في حدِّ ذاته تهيئة للأرض لتستقبل الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وأراده أن يكون خليفة عليها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستمدّ العبر والمواعظ من التاريخ من أجل حاضر فيه الحاجات المتطوّرة تُشبع والمستقبل يُصنع.

– كذلك تتابع الليل والنّهار بانتظام هيّأ للإنسان نظام حياة مريح يستطيع من خلاله تهيئة نفسه للعمل والرّاحة كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}50، وكذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}51.

والتهيّؤ من حيث الثبات المطلق والنّسبي يرتبط ارتباطا كبيرا بالمهيّئ نفسه؛ فعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ المطلق الله عزَّ وجلَّ؛ فلا بدَّ وأن يكون التهيّؤ تهيّؤًا ثابتًا لا يتغيّر بتغير الزّمن والظّروف؛ لأنَّه تعالى هو العالم المطلق والخالق المطلق الذي لا يمكن أن يغفل عن شيء ثمّ يصححه بعد ذلك، وهو الذي لا يمكن أن يختلف شيء عمّا أراده بسبب تغيّر الظّروف والزّمن المحيطين بذلك الشّيء الذي هيّأه الله لما أراد أن يكون عليه أو يكون منه، قال تعالى:

---

[50] يونس: 67.

[51] النبأ: 10، 11.

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ. الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}52.

وعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ بالإضافة (الإنسان) فبكلِّ تأكيد سيكون التهيّؤ ثباته نسبي؛ وذلك بسبب قصور علمه وتفكيره وقدراته المحدودة؛ فيكون من الممكن أن يختلف الشيء عمّا هيّأه له المهيّئ بأسباب التعلّم والمعرفة.

فليس هناك إنسان يخلو من التهيّؤ لأيّ فعل من حيث الوعي أو عدمه، وهذا التهيّؤ لا نقول إنَّه ملازم للإرادة، وإن كان يأتي قبلها من حيث الرّتبة، وتكون العلاقة بين التهيّؤ والإرادة متوالية إلى درجة، بحيث إنّ أيّ قرار للإرادة هو مبني على التهيّؤ، والإنسان كونه مريدا بالصّفة النسبيَّة؛ فهو متهيّئ لما يريد، والعلاقة بين التهيّؤ والإرادة هي علاقة طرديّة متنامية، بصرف النّظر عن نتائج قرار الإرادة؛ وذلك لتباين المؤثّرات النفسية والعقلية من إنسان إلى آخر؛ وذلك بسبب تباين مفاهيم القيم ومفاهيم الثقافة والمعرفة الواسعة والخصوصيات التي عليها النّاس اختلافًا.

ولتقريب مفاهيم اختلاف التهيّؤ من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، نقول: إنَّ هذا الأمر قائم على اختلاف المؤثّرات من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النّفس الإنسانية من مؤثّرات البيئة سواء أكانت الطبيعية أم الاجتماعيَّة، بحيث يظهر أثر هذه

---

52 الملك: 1 . 3

المؤثّرات على الجوانب النفسية والعقلية في تشكل التهيّؤ لدى الأفراد في مجتمع معين، أو التباين بين مجتمعين نتيجة تلك المؤثّرات.

ولتوضيح التباين بين مجتمعين في تشكُّل التهيّؤ نقول مثلًا: إنَّ مصطلح الإرهاب غير مفهومه، فما يسوّق اصطلاحًا للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربية والدّين الإسلامي من قريب ولا من بعيد بالمفهوم الدلالي للإرهاب، وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها ولفت الانتباه؛ حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي الإرهاب فعل مترتّب على إعداد العدّة المضادّة للعدّة والمتماثلة معها في القوّة، والأخذ به واجب؛ طاعة لأمر الله الذي لا يُقرّ ظلما.

أمّا لدى أهل الغرب؛ فإنَّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، والقانون يُجرمُ مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حرّيات الآخرين، وهذا الأمر يقرّه الدّين الإسلامي؛ حيث لا إكراه في الدّين، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[53].

إذن المدى بين اللغة العربيّة والدّين الإسلامي، وبين اللغات الغربية مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى؛ ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب للإرهاب لا علاقة له به، وفي اعتقادنا أنَّ كلا الطّرفين على حقّ، من حيث إنَّ:

---

[53] البقرة: 256.

. لغة العرب: لا تُقرّ الإرهاب وفقا للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة؛ ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب، وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه اللغة العربيّة والدّين الإسلامي؛ ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحلّ.

. المسلمون: دينهم حدّد لهم ماذا يعني الإرهاب دلالة ومعنى؛ ولهذا فهم لا يرون الإرهاب والأفعال الإرهابية هي ما يقصده ويُفسّره أهل الغرب؛ ولذا فهم لن يأخذوا بغير ما يرونه أمرا بالنسبة لهم كمسلمين طائعين لأمر الله الذي أمرهم بإعداد العدّة المرهبة للعدو، وليس المرهبة لغيره؛ مصداقا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[54].

. أهل الغرب: هم الذين يجرّمون الأعمال الإرهابية ويلاحقون أصحابها، سواء أكانوا من أهل الشرق أم من أهل الغرب ولا فرق في ذلك، ولكن ما يلاحقون بأسبابه من يلاحقون في حقيقة أمره لم يعدّ ذلك المقصود بمفهوم الإرهاب في اللغة العربية والدّين الإسلامي، بل هو تلك الأعمال والأفعال التي تجري بهدف التخريب والتدمير وسفك الدّماء المحرّم سفكها بغير حقّ، وهذه الأعمال والأفعال لا يُقرّها الدين الإسلامي ولا تعرّفها اللغة العربية بالإرهاب، بل تُعرّفها بالأعمال المفسدة في الأرض، وهذه الأعمال حرّمها الدين الإسلامي ونهى عنها؛ مصداقا لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ

[54] – الأنفال: 60.

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} 55.

ولذا فإنَّ تهيّؤ المجتمع المسلم يختلف في هذا الموقف ويصطدم معه لتباين التهيّؤ بين المجتمعين؛ فهو يأبى هذا النّوع من الفعل؛ لأنَّه مهيّأ من خلال الدّين والعقيدة والشرع الذي يحرّم قتل النفس ظلما.

فالمجتمع المسلم لديه تهيّؤ عقائدي ونفسي وذهني وعضوي، بأن تتّخذ الإرادة قرارها وفق هذا التهيّؤ إذا ما وضع أمامها الموضوع.

إذن: هذا التهيّؤ في المجتمع المسلم هو إحدى خصائص الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، وكلّ ما يخالف ذلك ليس من الإسلام في شيء.

وعليه أتساءل:

. ما هي مكونات التهيؤ؟

. من أين يستمدّ التهيّؤ؟

. ما هي عناصر التهيّؤ؟

إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء ماديّة وقضايا عقليّة وانفعالات عاطفيّة ومسائل روحانيّة، وبتلاقح البعض منها مع البعض الآخر يتولّد نوع معين من التهيّؤ في اتجاه معين قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد بهدف ممارسة الفعل؛ ولذا لا يمكن أن يكون أحادي

---

55 المائدة: 32.

المصدر؛ إذ إنّ التهيّؤ الإنساني لا يتكوّن إلّا من عنصرين على الأقل ممّا ذكرنا؛ حيث إنّ مكونات التهيّؤ كما سبق ورودها هي:

- ماديّة، وهي الأداة.
- عقليّة، وهي سلسلة الأفكار.
- نفسيّة، وهي انفعالات العواطف.
- روحيّة، وهي يقينيات الإيمان القلبية.

ولا يمكن أن تستكمل متمِّمات التهيّؤ للإنسان إلّا بوجود التهيّؤ المادّي؛ ذلك لأنَّه الأداة المنفّذة لقرار الإرادة[56].

[56] عقيل حسين عقيل، التهيؤ، مكتبة الخانجي، القاهرة: 2017م، ص 10 – 56.

الاستعدادُ

الاستعداد حيويّة عقليّة تُمكِّن من الفعل بعد التأهُّب له مقدرة معرفيّة، مع دراية بما يجب حياله، وتصميم على الإنجاز بأقل الخسائر وفي أحسن الظّروف؛ ولذا الاستعداد لا يكون إلَّا مقصودًا لهدفٍ، أو غرضٍ، أو غايةٍ، أو نيل مأمولٍ.

والاستعداد التفات لما يجب وأخذه على التمام حيطة وحذرًا، وهو قابليّة عقليّة ونفسيّة وبدنيّة للأداء مع وفرة الإمكانات اللازمة للقيام بالفعل أو العمل، وهو لا يكون إلّا عن إرادة وبعد تهيؤ؛ فالاستعداد هيئة وجاهزيّة مع وافر التقبّل والرّغبة تجاه المستَعد من أجله.

والاستعداد مرحلة تأتي بعد إرادة وتهيؤ، وهو تجميع للقوّة الممكِّنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلّا من أجل أهداف يُراد لها أن تتحقّق بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة. إنَّه استمداد للقوّة المعنويّة والماديَّة من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظّرف الزّماني والمكاني والتوقيت المناسب.

ولهذا فالاستعداد يكون لأداء الفعل أو الواجب أو قبول الأمر الواقع، أو قبول تحدّيه بالمرّة، وهو المرحلة التي يتمّ فيها إعداد العُدَّة وحصر الإمكانات بعد دراسة وافية وخطة مُحكمة لتنفيذ الفعل؛ والاستعداد لم يكن العُدَّة ولا الإعداد، بل هو الجهد المبذول تخطيطا وتجهيزا من أجل توفير ما يستلزم للتنفيذ أو لخوض معركة قبل أن تشتعل نيرانها وتشبّ؛ ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءًا من الاستعداد وليس المتطابقتان معه في الدّلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوّة الماديَّة بأدواتها التي تُمكِّن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجَّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا فما يعدّه الإنسان لحوادث الدّهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضررًا يسمى العُدّة.

أمَّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكِّن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدَّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدِم على الفعل الناجح إلا المستعدّ بإعدادٍ جيدٍ.

وعلى كلٍّ فالاستعداد يستوجب اجتماع النيّة وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمُّل نتائجه سلبا وإيجابا، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرّسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الإنجاز عند غيره؛ فالفشل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة.

ولهذا فالاستعداد هو أخذ الحيطة والحذر واستحضار القوّة العقليّة والفكريّة والنفسيّة والماديَّة التي تؤدّي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون تردّد بعد اتخاذ الإرادة قرارها؛ فالأفراح والأحزان والحرب والسّلام والأعياد والمناسبات، كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوّة الماديَّة

والمعنويّة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخِّرها وفقًا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يفضّل ويستحسن.

أنواع الاستعداد:

- استعداد ذهني.
- استعداد بدني.
- استعداد نفسي.

1 . الاستعداد الذهني:

الانتباه لا يكون إلا بعد فطنة واستعداد وإلّا سيجد الإنسان نفسه غافلا وسارحا وهو لا يدري عمَّا هو غافل وفيما هو سارح الذّهن، والاستعداد الذهني هو المؤسّس للقناعات التي لا تكون إلّا مع الإرادة أو بها، ولا يتمّ هذا الاستعداد إلّا بالانتباه والفطنة والوعي بمعطيات الأمور في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولهذا يحتوي الاستعداد الذّهني على الإلمام الفكري والثقافي وفقا للمدركات العقليّة، ممّا جعل العقل البشري يختزن معلومات شتى من العقائد والعلوم والفنون والمهارات والبيئة والحياة العامّة وكلّ ما له علاقة بحياة الإنسان وما يتعلّق بهذه الحياة، وبخاصّة أنَّ الجانب الفكري هو عماد الأمور في جميع المسائل التي تصبّ في مصلحة الإنسان أفرادا وجماعات.

إنَّ القضايا المكوِّنة لمخزون الوعي الجمعي لمجتمع معين، إن تمّ تناسيها عند البعض فإنّ البعض ستظل عنده مركَّزة ومتمركزة في الوعي الشخصي على مستوى الأفراد في ذلك المجتمع؛ وهذا الوعي هو سلسلة من الأفكار، وهذه

الأفكار تُسخَّر استعدادا لما ترغب الإرادة وتفضّل القيام به من عملٍ في مواجهة حدث أو موقف أو ظاهرة أو مجموعة قضايا.

إنّ الاستعداد الذّهني لا يُكتسب لحظة الحاجة إليه، وإنَّما هو ذلك الموجّه من قِبل الملكات العقلية، ينمو ويتطوَّر من التجارب والعلوم والمعارف والمشاهدات والخبرات والتاريخ الذي به تترسَّخ الهويّة التي بها تتوحّد الأمّة حتى يصبح كلّ فردٍ فيها وكأنّه أمّة بكاملها.

وهذا ما يُعبَّر عنه بسلسلة الأفكار التي أصبحت خاضعة للإرادة التي تخرجها إلى الاستعداد؛ بحيث يكون التركيز الذّهني منصبًّا على استحضار الأفكار والمعلومات ذات العلاقة في المواقف أو الأحداث التي تخدم الإرادة في قضية ما.

إنّ الاستعداد لأجل حلّ أي قضيّة هو دائمًا موجود في الفكر الإنساني قبل استدعاء تلك الحلّول، ولكن الذي يستدعيه ويستحضره طلب أو موقف خارجي؛ ولذا لا توجد قضية منطقية غير قابلة للحلّ؛ فالاستعداد لحلّ أيِّ قضية أو مواجهتها أو الحصول على الأسباب المؤدّية إلى نتائج إيجابية فيها، متوافر دائمًا في العقل الإنساني المدرك للحقيقة هي كما هي إن أراد حلّا لا ظلم فيه.

ومن هنا فالاستعداد الذّهني لا يكون إلّا وعيًا بما يجب حيث لا غفلة، وهو يقظة بالمطلب والحاجة مع معرفة القصد من مشبعاتها، وهو الانتباه لما يمكن أن يكون متوقّعا وما يمكن أن يكون مفاجئا؛ حساباته دقيقة وأهدافه واضحة ومأمولاته نصب الأعين.

2 . الاستعداد النفسي:

الاستعداد النفسي لا يكون إلّا بعد طمأنينة بما بذل من جهد في سبيل توفير ما يلزم الرّحلة أو المسيرة التي كان الاستعداد النفسي تجاهها حاضرا. وبالتّالي يصبح الخوف منزوعا من النفس بأسباب اتخاذ إجراءات ناجحة تجنّب الوقوع في المحظور أو المخيف.

ومع أنَّ الاستعداد الذهني ضرورة فإنّه لم يكن كلّ شيء في معطيات الاستعداد؛ فالاستعداد النفسي والمعنوي من أكبر الضّرورات والمعطيات قبل الإقدام على الفعل؛ ولهذا الهزائم في الحروب والمواجهات تلحق أوَّل من تلحق المنهزمين نفسيا ومعنويا؛ فمهما توافرت للجيوش من عتاد وعدّة لن يحققوا النصر المنتظر ما لم يكن المقاتلون على درجة عالية من الاستعداد النفسي والمعنوي الذي لا يبلغ أشدّه إلّا عن إرادة ووعي بالمسئوليات الجسام الواجب حمْلها كلّما اشتدّت شدّة.

ومع أنّ الاستعداد النّفسي غير الاستعداد الذّهني فإنَّهما يتداخلان كما تتداخل متغيرات القضية الواحدة التي تؤثِّر متغيراتها على بعضها البعض؛ فالإنسان العاقل هو الذي يتأثّر نفسيًّا سلبًا وإيجابًا، ومن يحسن التفكير يحسن التدبُّر، ومن يحسن التدبُّر يدرك الحقّ ويلتزم بمعطياته، ويدرك الباطل ويخشاه ويجتنبه ويبتعد عنه دون خوف ولا تردّد، بل قد يصاحبه الخوف إن لم يجتنبه ويخشاه، وعنه يبتعد؛ ولذلك يكون الاستعداد النفسي والمعنوي رافدا مهما للاستعداد الذّهني. إنَّه المحفِّز من حيث اجتماع قوى النفس استعدادا لمواجهة الحدث.

إنَّ هذا الاستعداد لا يمكن أن يكون له صورة في الخارج؛ لأنّه لا يُستمدّ من الأشياء الحسية الواقعية وإنْ كانت مؤثّرة فيه، وليس له صورة في الدّاخل؛ ولهذا فالعقل لا يستطيع أن يرسم له صورة متخيَّلة، علما بأنَّنا نستطيع أن نقف على هذا الشعور عندما ينعكس تأثيره على صفات المستعدّ؛ فالغضب والحذر والابتسامة والخجل والتعرُّق والعزم والحزم والهمَّة والخوف، إنما هي انعكاسات قوى النفس المعنوية على الجانب العضوي استعدادا للحدث؛ فهذا الاستعداد إنّما هو صورة مجرَّدة، فالإنسان يُدرك أثر الانفعال من تلك الصّورة على المستعدّ، وهو يدرك شعورا لا يستطيع أن يصفه أو يعبِّر عنه إلّا بانعكاسات الانفعال المولِّدة للاستعداد.

ولهذا فالقوى النفسية الكامنة في الإنسان تُستنهض استعدادا للحدث عن طريق تداعي أفكار معيَّنة في موضوع محدَّد أو مشاهدة بصريّة، ممّا يجعل بعض الغُدد تفرز عصارات مختلفة تجعل الإنسان على غير اتزان ولا توازن.

إنَّ سيلان الدّموع فرحا أو حزنا وحسب الموقف ودرجة تأثيره سلبا أم إيجابا، هو نتاج تأثُّرات النفس الداخليّة، وإن أثّر ذلك تأثرا خارجيا كما حال احمرار الوجه أو اصفراره عندما يلمَّ بالإنسان خوفٌ أو مرضٌ وكذلك في حالة الخشية والاحتشام، وما تتركه من أثرٍ على اللسان وما يلمُّ به من تلعثم عند الحديث، وارتعاش اليدين عند الحركة والسّكون وغيرها كثير؛ فكلّ هذه الظواهر بأسباب الاستثارة الداخلية والفزع لا تتحقّق عند من تهيّأ واستعدّ عن إرادة وقصد وإيمان ووعي بأهمية القضية التي لها تهيّأ واستعدَّ بإرادة؛ ولذا فالمرتعشةُ أيديهم والطّامعون والضّعفاء لا يصنعون التاريخ ولا يسهمون في صناعته، والواثقون وحدهم هم القادرون على صناعته، وأينما يحلّون تكون لهم

الأمجاد؛ فمن يطلب الموت تُكتب له الحياة، ومن يطلب الحياة عليه بقبول المفاجأة في الوقت غير المتوقّع.

3 . الاستعداد البدني:

لا شكّ أنّ الإنسان وحدة واحدة (ذهنًا ونفسًا وبدنًا) وما البحث المتجزئ إلّا لتبيان المزيد المعرفي مع فرز المفاهيم، وفكّ ما قد يجعل اللبس في عقول البعض؛ ولهذا الاستعداد البدني هو جزء متداخل مع الاستعداد الذّهني والنفسي ولا يكون مكملا لهما؛ فالاستعداد البدني إعداد لياقة وتمارين تيسر الحركة والسّكون.

ومهما استعدَّ الإنسان معنويًّا (ذهنيًّا ونفسيًّا) لن يحقِّق النّصر المؤزّر إلّا بإضافة الاستعداد البدني وإعداد العُدّة إلى ذلك الاستعداد المعنوي؛ ولذا ينبغي أن لا يغفل الإنسان عن أهميّة المران والتمرّن والتدريب والتأهيل واكتساب الخبرة والتعلّم؛ حتى يكتسب لياقة ومهارة وفنّا بها يتمكّن من خوض المعركة إن كُتبت عليه كرها. أو إنجاز العمل المتميّز إن أراد دخول المنافسة الحرّة، أو القبول بالتحدّي فيما هو مرغوب ومفضّل.

لذلك فالعقل والفكر الذي يسعى لتوافر أدوات الاستعداد الماديَّة مع تقدير الإنسان قيمة عالية هو الفكر الذي يدفع النّاس إلى الإنتاج والعمل، دون أن يتركهم يجترُّونَ الكلمات التي لا تُغني ولا تشبع من جوع؛ فالفكر المنتج هو الفكر المبدع الذي من خلاله يتهيّأ الأفراد بإرادة إلى العمل الذي يُحدث النُّقلة من الواقع الذي هم فيه إلى ما هو أفضل وأجود وأعظم؛ ولهذا جاءت الأديان السّماوية عقيدةً وعملا متلازمين (معنويًّا وماديًّا).

وعليه مهما كانت الأفكار النّظرية إن لم تتجسّد في أفعال وسلوكيات وانعكست في مهارات وخبرات ومران وفنّ وحركة وصورة؛ فهي لن تُحقّق للإنسان غاياته في الحياة، ولا يمكن أن تصنع له مستقبلًا، ولا يمكن لها أن تمكّنه من نيل المأمول.

ولذلك فالاستعداد البدني ضرورة لمن أراد أن يكون مرابطا على ظهور الخيل أو مرابطا على معدات التقنية الحديثة المتطوّرة التي تُرهب الأعداء وتواجه عُدَّتهم إن كُتبت المواجهة. وهكذا هو حال الفرق الرّياضية في الدّول المنافسة؛ فهي إن لم تتمرّن وتتدّرب بأساليب حديثة، لن تنجز ما تأمله أمام من استعد لمواجهتها تحدٍّ. وهذا لا يعني أنّ الاستعداد الرّياضي مقصورٌ على التدريب والتمرينات، بل الاستعداد الرّياضي يجمع وحدة الإنسان (ذهنًا ونفسًا وبدنًا)؛ ذلك لأنّ أيّ وهن في واحدة منها يؤثر في الأخرى؛ فكلها مهمة وكلّها متساوية ولا بدّ أن يشملها الاستعداد إلى جانب معرفة أساليب المنافسين.

الاستعداد تنوُّع:

التنوّع يوفّر الاختيارات من المتعدّد وفقا للقدرة والحاجة ومتطلباتها ومشبعاتها؛ ولذلك العُدّة المتنوّعة هي التي تُحدث التماثل مع الظّروف والحاجات والقدرات والخبرات، ممّا يجعل الاختيارات متوافرة حسب الطلب وهذه من محفِّزات المرابطين على المرابطة والمقاتلين على خوض المعارك في حالة ما كُتبت عليهم كرها.

والاستعداد كلمة جامعة لا مانعة في بوتقتها تنصهر معطيات القوّة ووسائلها الممكِّنة من التأهُّب ومن بعده تنفيذ الفعل؛ ولذلك فالاستعداد جُهد

يُبذل بعد تهيّؤ من أجل حصر وسائل القوّة وتجميعها وتحشيدها ومراجعتها وتقييمها وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فبالاستعداد الذّهني يتمّ الاستقصاء والتفحُّصُ، وبالقراءة الوافرة يتمّ الوعي، وبالتفكُّر فيما يجب يُتّخذ القرار، وبالتذكُّر لما كان تُستمدّ العبر ويتمّ الاتعاظ، وبالتدبُّر في الأمر قيد الانشغال الذّهني يُصنع المستقبل بعد الإقدام على الفعل المناسب لصناعته.

وبالاستعداد النّفسي تتجلَّى النّفس وتستنير بالحقائق من خلال وضوح الأهداف والأغراض والغايات؛ حتى يتمّ القبول وتطمئن النفس بما سيترتّب على الموضوع من كسب أو خسارة.

أمَّا الاستعداد البدني فبه يتحقّق التمرُّن على الحركة المناسبة لأداء الفعل عند الإقدام على أدائه، كتمرُّن الرّياضيين على ممارسة التمارين المناسبة لكلِّ رياضة من الرياضات المتعدّدة والمتنوعة وتمرُّن المجنَّدين لأداء المهام القتالية أو المتطوعين لأدائها، إنّه الاستعداد الذي به تُصقل الشخصية بنية ومظهرا. وهذا النّوع من الاستعداد يتشكَّل مع حركات الجّسم وهيئاته؛ ليكون الجّسم متهيأ ومستعدًا للفعل، ومنتظرًا الزّمن المناسب للتنفيذ.

وللاستعداد نماذج وصور متعدّدة ومتنوِّعة نأخذ منها على سبيل المثال: استعداد المنحرفين لفعل السّرقة، ولتوضيح ذلك اقتبس قصة صغيرة من كتابنا (سيادة البشر) بعنوان: (سُرِقت الليمونة مع أنَّها لا زالت في الشّجرة).

قرّر مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشّجرة، كلّ وفق الفرصة التي تُمكِّنه من النّجاة بها.

فالأوَّل قرَّرَ السّرقة ونفَّذَ قراره، وقُبِضَ عليه متلبِّسا في حالة سرقة وجُرِّمَ وفق القانون.

والثَّاني قرَّر السّرقة ولكنَّه لم ينفِّذ قراره، وبالتَّالي لم يُتَّهم بالسّرقة، ولكن بما أنَّه قرَّر سرقة الليمونة وهو عاقل، ألا يُعدُّ بالنّسبة إلى المدركات العقليّة سارقًا؟

مضمون القصّة هنا تأثَّر بالزّمن وحدوث المتغيرات؛ فالسّارق قرَّر السّرقة والوقت كان منتصف النّهار تقريبا، وفي قراره أنّه سيسرق الليمونة عندما يأتي الليل، وعندما جاء المساء علم بأنَّ السّارق الأول قد قُبض عليه في أثناء قيامه بسرقة الليمونة المستهدفة، وبالتالي الليمونة التي يودّ سرقتها قد سُرِقت، ممّا جعله لا يُنفِّذ قراره، أنَّه في هذه الحالة ووفق المدركات العقلية مثله مثل السّارق الذي قُبض عليه، مع أنّه لم يُتّهم بالسّرقة؛ لعدم قيامه بها. ولا فرق في هذه الحالة بين السّارق الأوّل والثاني، إلّا أنّ الأوّل قد نفَّذ قراره ولم ينجُ، والثاني لم تُتَحْ له فرصة التنفيذ فنجا من القبض، وقد يعتقد البعض أنّه خالٍ من عيوب السّرقة، ولكن لو لم ينفِّذ الأوّل قراره في ذلك اليوم، لكان الثاني هو السّارق الذي قُبض عليه.

أمَّا الثّالث فهو الذي قرَّر سرقة الليمونة من شجرة الجيران، وفق خطة تتضمّن بدائل استعدادا لتنفيذ عملية السّرقة.

الخطوة الأولى: يقوم بسرقة الليمونة عندما يكون جيرانه خارج المنزل، وهذه تتطلّب منه مراقبة الجيران عند خروجهم من المنزل.

والبديل الاستعدادي الثَّاني: إذا لم يخرج الجيران جميعهم من المنزل قرَّر أن يكوِّن علاقة مع الحارس والكلب الذي قد يعيقه في أثناء تنفيذه قرار السّرقة.

والبديل الثَّالث: أن يقتل الحارس والكلب.

كلّ هذه العمليّة الحسابية عمليّة عقليّة، وغير عفويّة؛ لأنَّها وفق خطة وإصرار؛ فهي الاستعداد لدخول المخاطرة، وبعقل مدبّر، وما التنفيذ إلّا خطوة من خطوات الخطة؛ ولهذا لم تكن المشكلة في فعل السّرقة، بل المشكلة في العقل الذي قرَّر السّرقة ووضع لها خطّة استعدادًا لفعلها.

وعليه: إنْ أردنا علاجا لمشكلة السّرقة؛ فينبغي أن يكون المستهدف بالعلاج هو العقل، ولأنَّه العقل؛ فينبغي مراعاة علاجه معلومة بمعلومة وحُجَّة بحجَّة.

والرّابع قرَّر سرقة الليمونة، ولكنَّه تراجع؛ نتيجة خوفه من أن يُقبض عليه لصّا. في هذه الحالة لا يختلف عن سابقيه، أنَّه سارق، ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكاب فعل السّرقة.

لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم، ولا الأعراف، ولا الدّين، بل شيء آخر أنتج الخوف. إنَّه العقل المدبِّر الذي يقرِّر، ويخطّط، ويغيِّر قراراته وخططه وفق المواقف، والظروف، والمتغيّرات.

وعليه: تعدّ الليمونة في كلّ الحالات مسروقة، وسُرِقت من الجميع منذ أن اتخذ كلٌّ منهم قرار سرقتها، وما التنفيذ إلا خطوة لاحقة لذلك.

ومن المهم بعد هذا كلّه الوقوف أمام تساؤلات هي:

– هل يمكن تخطّي الاستعداد في أداء الفعل؟

– وهل ينجح الفعل من دون الاستعداد؟

– وما مؤشر وجود الاستعداد؟

أقول:

لا نجاح إلّا بتهيّؤ وإرادة وإعداد، ولا فشل بالمطلق إلّا بالقفز على مرحلة من هذه المراحل، أمَّا الفشل النسبي فهو الذي يقوَّم بتأهّبٍ جديد وإرادة واستعداد جديدين؛ لتكون العودة مؤسّسة على درسٍ مفيد يتمكَّن من خلاله النّاس من إعادة النظر في نفس الأنا والآخر المقيَّم والمشكوك فيه، سواء أكان الآخر موضوعا أم قضيةً أم كان هدفا بشريا أم مادّيا، ولكلٍّ حساباته في دائرة الموضوعية والممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالذين سرقوا الليمونة سواء عن نيةٍ أم بفعلٍ هُمْ في حاجة لمن يتولى حالاتهم بالإصلاح معلومة بمعلومة وحُجَّة بحُجَّة، إلى أن يتبيَّنوا الحقّ من الباطل؛ حتى يُرشدوا إلى اتباع ما يجب أن يُتبع، وإن لم يتمّ ذلك فالأمر سيعود على المجتمع في دائرة التأزُّمات والشدائد.

ولذا ينبغي أن لا يغفل المجتمع عن أهمية الإصلاح وفقا لقاعدتي:

. (المعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة وإن كان أصحابها متطرّفين).

. (الحُجَّة بالحُجَّة تجعل النّاس في مركزٍ يتّسع والوطن مِلكُ للجميع).

وعندما تؤسّس العلاقات بين الأنا والآخر على هاتين القاعدتين يتمّ التفاهم، ويصبح التفهُّم قيمة رائجة بالتقدير والتقبُّل والاستيعاب دون أنّ يرتهب أحدٍ من أحدٍ.

لذا فالاستعداد عندما يؤسَّس على المعلومة الصّائبة والحُجَّة الوافية يصبح النّاس متأهّبين لأن يُقدِموا على ما يشاؤون من أجل أن يصنعوا مستقبلا يجد الجميع فيه أنفسهم مركزا، أمَّا إذا كان التخطيط للمستقبل من أجل أن يكون النّاس تُبَّع؛ فالانتكاسة لا محالة هي مفسدة لِما تمَّ التخطيط له، ويصبح الزّمن كفيلا بترويض من لم يروّض بعد وإن ولَّد الزمن مخيفين ومُرهبين متأهّبين لتنفيذ الفعل57.

إعداد العُدّة:

إعداد العدّة هو ارتباط ما يبذل من جهد مع العدّة التي لا يتم توافرها إلّا به، فالعدّة وسيلة عامّة، ولكن عندما تكون معدّة استعدادا؛ فهي لا تكون إلّا مصنّفة ومختبرة ومجرّبة تأكّدا من صلاحيتها ومدى تناسبها مع العمل المستهدف؛ فالإعداد جهد يبذل بعد تهيئة لأدائه رغبة وإرادة، وهو المهيّأ للمادّة المراد إعدادها وتوافرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقا للنّوع والجنس والجودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابيا على أرض الواقع؛ ولذا فالإعداد للملائمة المناسبة للمطلب والحاجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوّة وبلوغ الغايات المأمولة.

---

[57] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 86 . 99.

إذن فإعداد العُدّة، هو ما يُبذل من جهد فكري وعقلي وتدبُّر من أجل العمل على توفير المال والعتاد والوسائل الممكِّنة من أداء الفعل وحصر البشر القادرين على تحمُّل الأعباء وفقا للقدرة والاستطاعة، ثمّ تدريبهم وتعليمهم وتأهيلهم لاستيعاب العُدّة المتنوّعة والمتجدّدة والمتطوّرة.

فالعُدّة هي تلك الوسائل المتطوّرة عبر الزّمن، التي يُعتمد عليها مادّيا في إدارة القتال أو الحرب، وهي التي تولّد في أنفُس الأعداء الرّهب، وبها ينال التقدّم وتخاض المعارك ويتحقّق النّصر، وكلّما كانت عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان، وذات أثرٍ بالغ الأهميّة في الخصم وفي الإعمار والبناء والإصلاح، ولذا فكلّما أُعدت وتمّ إظهارها استعراضا أمام العدو أرهبته وحقّقت الهيبة لمالكيها ومستخدميها والمرابطين بها على جبهات المواجهة وحدود البلاد.

وهنا فالإعِداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادّي، أمّا التهيُّؤ فليس بمادّي، الإعداد ترتيب متكامل لِما يجب إظهاره أو الإقدام عليه؛ فالإعِداد يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، قال تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}58.

ولأنَّه إعداد؛ فهو يحتوي على التنظيم والتدريب والتمرُّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكّن المقاتلين في ميادين المعارك القتاليّة من حُسن الأداء مع النيل من الخصم، وإجباره على الاستسلام، أو التفاوض

[58] يوسف 70.

الذي يمكِّن كلّ صاحب حقّ من حقّه، ويعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها بالقوّة.

إذن هناك تلازم علائقي بين إعداد العُدّة، والتمرّن والتدريب عليها، ومن يغفل عن ذلك، عندما تُكتب الحرب عليه سيفاجأ بأنَّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصّراع؛ فالصّراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة وتفوّق يُمكِّن من الفوز، ويُحقِّق النّصر، ويُرهب الأعداء؛ ولذلك فالتمرّن والمراس ضرورة لإدارة المعارك بتفنّن ومهارات عالية.

إنَّ درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ تقوى بقوّتهما وتضعف بضعفهما، فإنْ قويت حقّقت نصرا، وإن ضعفت أدّت إلى هزيمةٍ على المستوى الفردي أو الجماعي، مع أنَّ نتائجها على المستوى الفردي والجماعي قد ترتبط بأمرٍ خاصّ، ولكن على المستوى المجتمعي نتائجها تكون من أجل الجميع وبها تتحقّق الآمال ويُصنع المستقبل المشترك الذي به تصان حدود الوطن وتُرسَّخ الهويَّة العامّة للأمّة.

ولو أخذنا على سبيل المثال إعداد العدّة إرهابًا: سنجد اختلافًا في مفهوم الإرهاب؛ ممّا يجعل إعداد العدّة من أجله محرّمًا ومجرّمًا من قبل بعض الثقافات التي لم تُقدّم مفهوم الإرهاب كما جاء في الدّين الإسلامي، الذي لا يقرّ إرهابا كما فسّره أهل الغرب؛ ولتوضيح ذلك أحلل تفسيرا قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[59].

[59] الأنفال: 60.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاءت أمرًا من الله تعالى للعباد؛ ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّل خطرا على الذين آمنوا غايتها تحقيق السّلام الذي به تطمئن الأنفس، وتصان البلاد وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا) أمرٌ مطلق مع وجوب السّرعة في الأخذ به وتنفيذه؛ ولذلك فإنّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرا على حياة النّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة اجتماعيا وإنسانيا.

وقوله (مَّا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدَّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا يجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكِّنة من امتلاك القوّة وتوافرها والتدرُّب عليها والمران من أجل إدارتها حتى تتيسّر استخداما إذا ما كُتبت الحرب أو أقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة إلّا أنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَّا اسْتَطَعْتُمْ) أي: إلى النّهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النّهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النّهاية.

وقوله (مِّنْ قُوَّةٍ) مع أنَّ (مِن) بعضيّة إلّا أنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع، أي: تنوّع القوَّة الواجب تنوّعها وإعدادها لإرهاب العدو؛ ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوّة غير محدّدة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ) أيَّة قوة.

وعليه فإنَّ تنوُّع الصّناعات الحربيّة وتطوّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخيفون العباد تهديدا ووعيدا وظلما وعدوانا بغير حقّ.

إنَّ معظم شعوب العالم الضّعيف تمَّ احتلال أراضيهم، وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم بغير حقّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحرّية وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفا ورعبا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من إخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافاتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم أن لا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرّة ثالثة ورابعة وخامسة وإلى النّهاية!

لذا فالعالم الإسلامي هو أكثر من دفع الثّمن ولا زال معرّضًا لأن يدفع الثّمن أضعافًا مضاعفة، ولا يمكن أن يقف احتلال الأوطان واستعمار الأمم والشّعوب ما لم تمتلك الأمم والشّعوب أدوات القوَّة المتنوِّعة والمتطوِّرة التي بها تتمكّن من أنْ تُرهب من كان سببا في تخويفها وتجويعها واحتلال بلادها.

وقوله (وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوّة التي نزلت في قوله: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ)، وفي هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها هي قوّة من مجموع القوى المتعدِّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ).

أمّا الرّباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمّة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرها.

وعليه: (وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيِّزَ الرّباط عن القوَّة، أي إنَّ الرّباط هو الذي لا يتمّ إلّا بخطة وقرار وتدبّر وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوَّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدرَّبون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كلّ القوّة، بل تدلّ على القوّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام، وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينية والملاحظة العقليّة والمعرفيّة التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب عمّا لا يُرهِب.

إنَّ إعداد العُدّة المستطاعة يجب أن لا يفهم منه بشكل خاطئ أو منحرف دعوة إلى رفع العتب وإبعاد اللوم، كما فُهم الإرهاب من البعض على أنّه الاعتداء لنشر الخوف والرّعب دون النّظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجّة أخرى بفهم خاطئ أيضا، كمن فهم قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[60] على أنّها دعوة للاستكانة والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التوكّل ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسَع النفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العدّة المستطاعة باستنفاذ الجهود والطرق

[60] البقرة: 286.

والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العدّة لمنع العدوان بما تحقّقه العدّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد وصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدّ العدّة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب، فقد أدرك رفع التكليف بما ببذل من جهد دخل ضمن الاستطاعة التي تتكفلها النفس، وإن كانت هذه العدّة الإرهابية بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادءة والمبادرة بالعدوان.

وعليه أتساءل:

. هل العدّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنّ العدّة تُعدّ من قِبل الإنسان، وإن كانت العدّة والإعداد يجب أن يكونا متلازمين ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابية، إلاّ أنّ العدّة وإن توافرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات الماديَّة؛ ذلك أنّ العدّة مادّية بأيّ شكل كان، فلو كان هناك أكداس من الحديد بشكله المعروف كمادّة أوّلية، فإنّها لا تدخل الرّهبة على أحد مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالا طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرّهبة لهذا المال!

ولذا فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان، هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي؛ وذلك عندما تحوّل المادّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر، ولا نقصد الأسلحة فقط، وإن كانت جزءا من الصّناعة والزّراعة والتّنمية والخدمات التي لا تصل إلى مقاصدها الإرهابيّة إلاّ عن طريق التعليم والتدريب والتنظيم والتأهيل؛ ولذا (فأعدّوا) تبدأ من التهيؤ

مرورا بالإعداد والاستعداد والتأهب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحقّقة للغاية، والممكّنة من نيل المأمول أو الفوز به.

والإعداد لا يكون إلاّ بما يبذل من جهود يُحقِّق أهدافًا فكرية وعقلية ونفسية ومعرفية وتنظيمية تجسّد قوله تعالى: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة).

فالأخذ بهذه المعطيات الإعدادية وتجسيدها إنسانيا في الارتقاء بالإنسان إلى هذا المستوى يجعله على قدر المسئولية، وبذلك يقضي الإعداد على الوهن والضّعف والتخاذل، ممّا يفضي إلى رفع الهمم والارتقاء بالنّفس؛ وبذلك تنزاح عن النّفس المذلة والهزيمة والخنوع، وتتجاوز الأسف والنّدم الذي يستحكم فيها؛ فالذي كان يحيلها إلى نفوس هامدة تتحوّل بالإعداد إلى قدرة قابلة على مواجهة التحدّيات، ولا نقصد بالمواجهة ساحة القتال أو الحرب، وإنّما مواجهة الواقع بما يحمل من مفاجآت حربية وسلمية واقتصادية وسياسية واجتماعية، حيث إنّ تمكّن الإيمان بالإعداد يقينا يخلق إنسانا له القدرة على التصرّف حيال الأحداث ليصل إلى درجة: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[61] التي تعزّز الثّقة بالنّفس؛ فتأخذ بأسباب التغيير التي تنعكس على الواقع بمعطيات إرهابية تثبت حقّ الأنا أمام الآخر، وتعترف للآخر بحقوقه.

فالإعداد على مستوى الذّات الإنسانية بهذه الجوانب، يدفع إلى الصّحوة من غفلة الانكفاء على الذّات والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثوابت ضمن المنطلقات الإرهابية المشروعة في التأهّب لمواجهة

[61] آل عمران 139.

العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة؛ ذلك أنّ الإعداد والعدّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصّحوة والانتباه إلى أنّ أقوياء العالم الذين سيطر الظّلم عليهم لا يرحمون الضّعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدّولية مجازفة لا تُمكّن من بلوغ الحلّ.

إذن: الإعداد دعوة أخلاقية في تحقيق الإنصاف الذي يؤمّن التوازن بين الأفراد أو المجتمعات، ومن ثَمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعا للصّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقّع؛ ولذا فإنّ (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولما كانت العدّة من الأشياء الماديَّة؛ فنادرا ما تحقّق المفاجآت؛ لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ؛ لأنّها أشياء حسيّة ومدركات مادّية يمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم إنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة، سواءً أكانت مشروعة أم إنّها غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة الماديَّة المعدّة والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجأتها. أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيّز المادّي ويكمن بين العقل والشّعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلاّ بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا فالإعداد الجيد على المستوى الفكري والنّفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شمولية لا تقتصر على السّلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطعام والشّراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإنَّما الاستمرار على إدامة الزخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق؛ كي يصبح من السّهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف.

فهذا الإعداد مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السّلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النّوع من الإرهاب داعيا إلى السّلم ومانعا للقتل والتدمير، والدّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابا للعدو في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة لاختلاف الأديان والقيم والأعراف والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعية والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسّعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان؛ ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ؛ ولهذا يجب أن لا يختلف اثنان على مشروعية

العدّة والإعداد إرهابا لا عدوانا، فذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ شعب أن يمتلك القوّة ليدفع عن نفسه الخطر إن هو تعرّض للخطر أو التهديد؛ ولذلك فالدّفاع عن النّفس يقتضي إعداد العدّة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الرّدعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلاّ من خلال منع وقوعه.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام، أو ما يُرمى به ومن ثمّ وصفه بالإرهاب؛ فهو تصرُّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجا لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات؛ ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه: فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها، وتقديم الخدمات، والنّهوض بالصّناعة، لا أن تمدّ الأيدي للآخرين وإن كان استيرادا بمقابل سابق الدّفع؛ ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم ويتطفّلوا على موائدهم، على الرّغم من وجود القوّة الماديَّة والأرض المهيأة والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكِّن الأفراد من أن يكونوا قادة بدلا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعا للحضارة وليسوا قرّاءً عنها، وطالما أنّ الأمر كان ممكنا لغيرك؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلا لك؛ ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة

الحضارة؛ لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن أهميتها.

إعداد العُدّة توازن خوف:

المخيف هو الذي يمتلك مقاليد القوَّة وأدواتها، والخائف هو الذي يَفتقد مقاليد القوَّة وأدواتها؛ فالذي يمتلك أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوّرة ويجتهد في تطويرها إضافة وتنوّعا سيظل دائمًا مخيفا لمن لم يمتلكها، أو من لم يواكب حركة تطوّرها، والذي لم يسع لذلك سيظلّ خائفا حتى يبلغ امتلاكها ويواكب حركة تطويرها وتطوُّرها.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف لإعداد العُدَّة أن يُرهب المخيفين ويقضي على الخوف؟

نقول:

بما أنَّ المخِيف هو من سبق بإعداد العُدّة المخيفة استخداما؛ فهو من دون شكّ من غرس الخوف في نفوس من لم يعدِّوها ودفعوا الثّمن غاليا بأسباب عدم تملُّكها؛ لذا فإنَّ الخائف بأسباب ضعفه عندما يمتلك مُعدّات القوّة ويستعدُّ بها ويتأهب، يتحرّر من الخوف، ويصبح مرهبا لمن كان مخيفا له، وإذا ما تحقّق ذلك تصبح نفسه مطمئنة آمنة؛ حيث لا مكان للخوف فيها بعد إعداد العُدّة وامتلاك القوّة الماديّة والمعنويّة، والتمرّن على إدارتها متى ما وجب ذلك دون مظالم.

إذن بإعداد العدّة المتكافئة مع الذي كان متفرِّدا بامتلاكها تتعادل كفتا الميزان، ويُلغى من القاموس الحربي الخوف الذي فيه غالب ومغلوب على

أمره، ليحلَّ محلّه الإرهاب الذي لا عدوان فيه ولا مظالم، بل هو مجرّد إعداد عدّة في مقابل عُدّة كانت لوحدها السائدة في الميدان.

وعليه: يصبح المخيف لا يُخيف، ويصبح الخائفُ غير خائفٍ، ممّا يجعل كلَّ منهما قادرًا على تقديم التنازلات تجاه الآخر بلا خوف، ذلك بما للعدّة من قوّة مُرهبة تؤدّي إلى تحقيق الآتي:

. نيل الاعتراف:

بعد أن يمتلك الضّعيف مقاليد وأدوات القوّة يصبح نائلًا للاعتراف من قِبل الذي لم يكن من قَبل معترفا به وبحقوقه وحريّته وحدود وطنه ودينه.

. نيل التقدير:

بعد أن كان الضّعيف غير مقدَّرٍ بأسباب ضعفه، أصبح مقدَّرا بما يمتلكه من قوّة مُرهبة للذي لم يكن مقدِّرا له، وأصبح يحسب للعدّة التي تمَّ إعدادها من قِبله ألف حساب، فعلى سبيل المثال: بعدما امتلكت الهند السّلاح النّووي أصبحت الباكستان خائفة ومرتعبة ممّا تمتلكه الجارة من أسلحة الدّمار الشّامل، وبعد أن عملت الباكستان ما استطاعت إلى أن استطاعت أن تمتلك هي الأخرى أسلحة نووية زاحت عن نفسها غمّة الخوف وتحرّرت منه، وأصبحت الهند مرتهبة ممّا امتلكته الجارة اللدود من أسلحة الدّمار الشّامل، وهنا أصبح إعداد العدّة وكأنَّه كلمة (قفّ) عندما تكون نافذة الفعل والتحقّق، قف عند حدِّك وإلّا ستكون الخسارة على الجميع متساوية على كفتي الميزان العدل؛ ولهذا لن تعتدي الهند على الباكستان بما هو مخيف، ولن تعتدي الباكستان على الهند بما هو مخيف، ويقف كلٌّ منهما عند الحدود مرتهبا ممّا

أعدّه الآخر من عُدّة دون مخافة منه، وتصبح اللغة السائدة بينهما: (ما تمتلكه نمتلكه) و(إن فعلتها سنفعل ما هو أعظم)؛ ولهذا (قفّ عند حدّك وقدّر الظّرف كما أنا واقف عنده ومقدِّرٌ له، وإلّا).

. نيل الاعتبار:

من يتبوأ مكانة رفيعة بما يمتلكه ويعدّه من عُدّة (قوّة) ينال الاعتبار من قِبل الآخرين حتى وإن لم يكونوا من قَبل معتبرين له؛ ولذا فمن يعتبر نفسه بامتلاك مقاليد القوّة ينال الاعتبار من الآخرين، ومن لم يعتبر بذلك لا يعبأ على نيله.

. نيل الاحترام:

إنَّ الذي كان فاقدا لمقاليد وأدوات القوَّة وإعداد العُدّة وكان عصامي النضال حتى أصبح قويا، من دون شكّ سينال الاحترام.

فما وصلت إليه كوريا الشّماليّة من إعداد عُدّة وفقا لإمكاناتها المتواضعة يستدعي الاحترام، ويمكِّن من نيل الاعتراف والتقدير حتى وإن كان الاختلاف معها سائدا في الزّمن الآن، وهكذا إيران الخائفة من الذين يمتلكون الأسلحة النوويّة هي الأخرى إن امتلكت القوَّة بما تعدّ له من عُدّة ستنال الاعتراف والاحترام، وتكسر حاجز الخوف عنها وستُرهب الآخرين الذين يتوعدونها ويهدّدون، وإن لم تمتلك فلن تنال ما ناله مَن امتلك القوَّة وأعدّ لها عدّتها، وستكون إيران معرّضة لِما هو أخطر.

وعليه: إعداد العدّة عمل إصلاحي كما تُصلح الأرض بعد إعدادها للزراعة، وكما تُهيأ الأشياء إلى أشياء أعظم حتى تصبح صالحة لِما يجب أن

تكون عليه؛ والإعداد تجهيز مادّي بما يجب وفقا للإمكانات المتاحة والتي يجب أن تتاح وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وعليه: يترتّب على إعداد العدّة أمرين:

الأمر الأوَّل: تخلّص الخائف من الخوف.

الأمر الثَّاني: إحساس المخيف بالإرهاب.

ويترتّب على هذين الأمرين أمورًا منها:

. الاعتراف بالآخر.

. المصالحة مع الآخر.

. التفاوض مع الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر من الآخر.

. التفاهم مع الآخر.

. التسامح مع الآخر.

ولذا فإنَّ إعداد العدّة والاستعداد بها والتأهُّب للإقدام على خوض المعركة بإرادة يجعل الذين كانوا يشكِّلون خطرا على الشّعوب يعيدون حِساباتهم تجاه الآخرين، وبدل أن كانوا يقدمون على أفعال الحرب والاقتتال سيقدمون على كلِّ ما من شأنه أن يلغي تلك المبرّرات التي كانوا بها يبرِّرون اعتداءاتهم ومظالمهم.

وعليه: فالفرق كبير بين الخائف والمرتهب من حيث:

. الخائف يستطيع أن يتدبّر أمره وقد يقبل بالمخاطرة ودخول القتال، وبخّاصة إذا عرف أنَّ القبول بالمخاطرة والقتال هو مكمن الحلّ، أي: إنَّ الخائف يستطيع أن يُقرّر وإن كانت الظّروف حرجة.

. المرتَهِب هو الذي لا يستطيع أن يُقْدِم على أفعال القتال بوجه السّرعة حتى وإن رأى ذلك أمرا ممكنا؛ ولذا فالخائف يستطيع أن يَقدِم على تنفيذ الفعل بأسباب الخوف ذاته، أمّا المرتهب فهو الذي لا يستطيع أن يُجمِّع قواه العقليَّة بنفس واثقة في مواجهة ما يُرهبه؛ ولهذا هو في حاجة للتدبّر قبل أن يتّخذ قراره.

إذن: الإرهاب إن تحقّق في الأنفس أدّى إلى التفاوض والحوار والنقاش من أجل التفاهم وتفّهم الظّروف وما يترتّب عليها من مخاطر، والتحكّم في كلِّ ما من شأنه أن يُرهب الجميع (الأنا والآخر)؛ ولذا فالإرهاب يستدعي من الأنا والآخر أن يُفكِّرا جيدًا قبل أن يتكلّما، وأن يتذكّرا حتى لا يغفل أحدهم عن أهميّة التّاريخ في اتخاذ القرار وصناعة المستقبل62.

---

[62] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 66 . 87.

التأهّبُ

التأهّب لا يكون إلّا بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد، وهو مرحلة متقدّمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو السّاكن في كمون الحركة الظّاهرة للامتداد.

والتأهّب فطنة هو حسابات عقلية وبصريّة مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فالتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب؛ كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

فالتأهُّب فطنة ووعي وإلمام بما يجب في الوقت الذي يجب أن يكون فيه، والمكان المخصّص له، مع مراعاة الظرف الموضوعي من أجل سلامة التنفيذ، وسلامة المنفّذ.

وللتأهُّب مفهوم لفظي علائقي مكوّن من المجموع القيمي لكلٍّ من:

. الانتباه، لِما يجب.

. الدراية، كيف يجب.

. اليقظة، حول ما يجب.

. الفطنة، لأخذ ما يجب.

. التحفُّز، تجاه ما يجب.

. الإصرار، عزم على ما يجب.

. الرّغبة، في ما يجب.

. الحِرص، على سلامة ما يجب.

. الوعي، بما يجب.

. التيقُّن، تمسّك بما يجب.

يُعدّ التأهُب مرحلة ما قَبلُ الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلّة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة؛ فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فعلى سبيل: المثال: عندما تستوجب المواجهة مع الخصوم يصبح التأهّب هو الذي يستوجب مرابطة تستدعي أن يضع المرابط أُصبعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال؛ وذلك بهدف أن لا تشتعل؛ لأنَّ المتأهّب حريصٌ على أن لا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[63]، تحرّض هذه الآية على التأهّب وفقا للاستطاعة؛ ولهذا جاء قوله: (ومن رباط الخيل) أي: ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، ولا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنَّكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر عدّوا دون تردّد؛ وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عُدّةً وتهديدًا ووعيدًا، تصريحًا وتلميحًا.

[63] الأنفال 60.

وعليه: فالرِّباط هو الملازمة والمداومة، التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم إنَّها آلات حديثة ومتطوِّرة؛ ولذا فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام وساد السّلام بين النَّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}[64] آية كريمة تدلُّ على أهميّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النّاس؛ ولذلك أمر الله عباده بالصبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتَّى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل خيّرة، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) كونوا متأهِّبين مرابطين بعزمٍ وحزمٍ على صون الحدود وأمن البلاد أرضا وشعبا من الذين يهدّدون ويتوعَّدون ويشكِّلون خطرا عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهّبكم واعملوا على إظهار قوّتكم متأهِّبين أمام مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي عددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[65].

والاعتداء من دون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النَّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن أُعتدي عليكم؛ فعليكم

---

[64] آل عمران: 200.

[65] البقرة: 190.

بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلا لِمَا أُعتُدي به عليكم، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}66.

ولذا فإنَّ إظهار القوّة والمتأهِّبين بها على ظهور الخيل أو الدبابات والطائرات والعربات والمعدَّات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء؛ وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛ فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين آمنوا من الأصدقاء، فتزداد أيمانًا مع إيمانهم.

وعليه: فإنَّ إعداد العدّة مع وافر الاستعداد والتأهّب استعراضا بمقاليد القوّة يُرهب من دون شكّ كلَّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

إذن: (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتَّى ينتهي من أذهانكم كُلَّ ما يخيفكم من أعدائكم.

وبعد أن يرى العدوّ تأهّبكم بالعُدّة الحربيّة والقتاليّة والخيل التي قد تأهَّبتم عليها ورابطتم بها، ثمّ بعد ذلك اعتدى عليكم بالمقاتلة؛ فعليكم مقاتلته، ولكن إن جنح للسّلم فاجنحوا لها، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}67، أي: وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرين؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها إرادة وتهيؤًا واستعدادًا وإعدادُ عدّةٍ وتأهّبوا بالقوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ ولا معتبر، وهو معرّض للقتل أمام المتوقّع وغير المتوقّع بين صدمة ورُعبة.

---

66 البقرة: 194.

67 الأنفال: 61.

ومع أنَّ التأهّب يؤدّي إلى المرابطة واستعراض القوّة التي تمّ إعدادها والاستعداد بها، ولكن من حيث المفهوم هناك فرق دلالي بين إعداد القوَّة، وإعداد رباط الخيل من حيث:

. قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ) إنَّ القوّة قد يتمّ إعدادها، ولكنَّها قد لا تُحقّق إرهابا للعدو إذا لم يعلم العدو بها ويشاهدها بأمِّ عينيه؛ فعندما تُخزّن الأسلحة والعتاد المتنوّع والمتعدّد ولا يتمّ إظهاره، قد يظنّ البعض أنّك لم تمتلك القوّة التي تُرهبه؛ فيعتدي عليك ظلما وطمعا ويفاجئك بالقتال ويُجبرك على مقاتلته.

. أمَّا قوله تعالى: (وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ) إظهار القوّة عُدّة وعتادًا وفرسانًا وخيلًا وتنظيمًا وتأهُّبًا؛ ولهذا رباط الخيل هي التي لولاها لكان السّلاح مخفيّا في المخازن، ولكن بها ظهر أمام الملأ؛ لتؤدَّى به رسالة مفادها: (لقد عددنا العُدّة، وامتلكنا القوَّة، ونحن الآن مستعدّين عن إرادة، ومتأهّبين لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنَّنا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر).

إذن التأهُّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعد هيّنا؛ فخذوا حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[68] أي تأهّبوا يقظة وانتبهوا واحترزوا العدوَّ؛ كي لا ينال منكم شيئا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمّ الاعتداء عليكم ظلما؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جديّة؛ فالأمر لم يعدّ هيّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ

[68] النساء 71.

سيأخذه مأخذ الجدّ أيضًا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يدفعه إليكم جانحا للسّلم الذي يستوجب منكم الجنوح إليه وفقا لقاعدة قبول التحدّي وقبول السّلام.

وكما أنَّ إعداد العُدّة حقّ لمن هو خائف من المخيف المرهب وهو الذي لا يُقدِّر ولا يَعتبر الآخرين، فكذلك التأهّب بالمرابطة هو استعراض قوّة، وغايته نيل التقدير والاحترام. والتأهّب هنا هو تَوافر العزم مع وافر الإصرار على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون، ممّا يجعل الأصبع على الزّناد استعدادا للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهّب يؤجّج في النّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع بلاءٍ واستماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ؛ خوفا من التأخير الذي فيه تكمن المفاجآت؛ ولذلك دائما لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

والتأهُّب الموجب يملؤه اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهّبا تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّك من ملكاته منتزع انتزاعا.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 من سبتمبر 2008م؛ لو لم يكن متأهِّبا للرّمي ما رماه أمام أعين النّاس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّ حدث في العراق وعمَّ يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصّحفي الموقَّر.

ولذا فمن يتأهّب للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أم حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبسق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فمن دون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوافر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية الأمل.

فالنّاس على مستوى المسئولية هم يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقّع حيال إنجاح مهمة من مهامهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقّع ممّا يجعل المفاجآت تتكرّر أمامهم على الرغم الاستعداد والعُدّة والعتاد.

الاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنا ومحقِّقا للفوز والانتصارات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهمية وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت، ولا داعي لأن يعتدي ظلما أو يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

ولذا فالتأهُّب قرار في زمن الأخذ به يُعدّ ساري المفعول في جعل العُدّة تحت أمر المتأهّب غير منقوصة، بل مُفعّلة للاستخدام متى ما شاءها أن تكون متلازمة الحركة والوظيفة مع حركته في أثناء المرابطة الميدانيّة، وبأسباب

التأهّب الإرادي يصبح المتأهّب متحمّلًا للمسئوليّة وما يترتب عليها من أعباء جسام.

ولأنّ التأهّب سلوك ظاهر؛ فهو القابل للمشاهدة والملاحظة؛ ولهذا جاءت المرابطة أمرا ظاهرا فيها تتوحّد العُدّة والخيل والمرابطة بها؛ ليكون التأهّب الظاهر إنذارا وتحذيرا بالعُدّة والعتاد والإرادة والاستعداد والخيل والفرسان، وهذا الأمر في زمنه، أمّا اليوم فالقوّة متطوّرة ومتنوّعة ولكلّ عصر قوّته وفرسانه، وفي جميع الأزمن الغرض هو إرهاب العدوّ؛ كي لا يعتدي وليقف عند حدّه، وفي حالة اعتدائه تكون المواجهة بالنّسبة إليه قاسية، والخسارة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع متماثلة؛ ممّا يجعل النّهاية بين الأطراف تفاوضًا ومصالحة وتفاهمًا بالقوّة.

وفي كلتا الحالتين يُعدُّ إعداد العدّة إرهابا من أجل القضاء على الخوف وأسبابه المخيفة.

ويُفهم من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قوّة وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أنَّ (العدّة والخيل والمرابطة) معطيات مُرهبة، ولكنّها لا تخيف، بل الذي يُخيف هو (الإنسان) الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء فيها بغير حقّ.

ولذا فالمرابطة هي إعلان حُسن النيّة من قِبل الذي يمتلك القوَّة، والغاية من ورائها تحقيق السّلام، وليس الإفساد في الأرض وسفك الدّماء فيها بغير حقّ. أنَّها إعلان قبول التحدّي من أجل التخلّص من الخوف إلى الأبد، ولكن إن كان هناك إصرار وعدم تقدير للموقف وظنَّ الخصم أنَّ المغلوب على

أمره لا يستطيع النّهوض والتحدّي فقد تكون المواجهة ضرورة لقياس القوّة غير المتوقّعة، ممّا يجعل للمقاتلين في الميدان الكلمة الفاصلة في تحقيق معادلة فرض مبدأ التقبُّل بين الأنا والآخر، ويكون الحلّ هو الاعتراف المتبادل.

وعليه: فإنَّ النّصر لا تُحقّقه المعدّات الحربيّة مهما تطوّرت، بل النّصر عبر التاريخ يحقّقه من يقرّر مع التنفيذ أنّ قبول الموت في الميدان هو المطلب الرّئيس؛ ولهذا الشعوب التي حرّرت أراضيها حرّرتها بهذا القرار حتَّى ولو اتخذت سلاحها الحجارة.

والتأهّب استجماع قوّة مع وافر الانتباه وأخذ الحيطة والحذر من المفاجآت في سبيل تحقيق النّجاح أو الفوز عند القيام بأداء واجب، ويعدّ التأهّب حيويّة الإقدام على الفعل والوقوف على أعتاب ما ينبغي القيام به عملًا أو سلوكًا، إنّه الأخذ بأسباب القوّة مع وافر التهيؤ والاستعداد لما يمكن أنّ ينجز، وهو إصرار مع حرارة الأمل في سبيل بلوغ الغاية ونيل المأمول ولو كان سالبًا، وهو لا يكون إلّا:

. عن رغبة

. عن معرفة.

. عن وعي.

. عن حاجة.

. عن إرادة.

. بقبول المتوقّع وغير المتوقّع.

. بعد تهيؤ.

. بعد استعداد وإعداد عدّة.

ولهذا؛ فالتأهّب نتاج الفكرة مع اختيار ورغبة تُحفّز على الإقدام (الموجب أو السّالب) متى ما تهيأت للإقدام ظروفه، ومن ثمّ؛ فهو ولادة الحيويّة تجاه إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات، أو نيل المأمولات، أي: إنّه استجماع القوّة لمواجهة المحيّر أو المستفزّ، أو من أجل إيجاد ما يشبع الحاجة ويطمئن النّفس.

فالتأهّب التفات إلى ما يجب، واهتمام بما يجب، مع أخذ الحيطة والحذر، بغاية النّجاح، وهو يدل على:

. تنفيذ قرار قد اتخذ مع معرفة تامّة بالمترتّب على تنفيذه.

. قبول تحدّي الصّعاب حتى وإن كان التأهّب انسحابا.

. قبول المواجهة مع المؤلم.

. إصرار وعزيمة في دائرة الممكن.

. خوف من المخيف؛ ممّا يستوجب مواجهته بدلا من تجنّبه أو الابتعاد عنه.

. يقظة تامّة بما يجب والأخذ به، وبما لا يجب وتفاديه، وهنا قد يكون ما يجب من أجل تنفيذ الفعل السّالب، وقد يكون لتنفيذ الفعل الموجب ولكلّ حساباته.

المتأهّب على الدّراية:

الإنسان عندما يتأهّب لفعل ما يكون قد ألمَّ به إلماما تاما، أي: إنّ المتأهب يدري بما عليه من واجبات وما له من حقوق؛ فلا يتأخّر عن أداء واجب ولا عن ممارسة حقّ عندما يكون موجبا؛ ولهذا فحالة التأهّب لا تبلغ إلّا عن إرادة ورغبة، ثمّ بعد تهيؤ واستعداد ودراية بأسرار وعلل المتأهب له؛ تفاديًا للوقوع في الفشل أو الخسارة حتى وإن كان المقصد أنانيًّا.

ولا يمكن أن تُبلغ مرحلة التأهّب إلّا إذا توافرت المعلومات الكافية لأداء الفعل أو القيام بالواجب، أو لمواجهة ما يشكّل خطرا؛ ولذلك يجب أن يكون الإنسان على الدّراية المعرفية في كلّ ما يتعلق بالموضوع المتأهّب من أجله، وإلّا سيفاجأ؛ فالتأهّب يستوجب دراية بالمتأهّب من أجله؛ كي تُحمل المسئولية وما يترتّب عليها من أعباء.

وهنا؛ فالتأهّب يؤدّي إلى:

. التمكّن من الوقوف على أعتاب الفعل.

. التحفّز على الانقضاض متى ما جاءت ساعة الصّفر.

. التمكّن من المستهدف دون تردّد.

ولأنّ للمتأهّب دراية بالموضوع أو المشكل؛ فهو يعرف متى يتقدّم ومتى ينسحب، ومتى يفاوض، ومتى يقف على الحياد.

المتأهّب والقلق:

زمن الانتظار دائمًا مقلقٌ للمتأهّبين والمتحفّزين إلى تحقيق الأشياء أو بلوغها، حتى وإن كان لإجراء مقابلة بهدف الحصول على فرصة عمل، أو حتى وإن كان لسفرٍ وفي جيب المتأهّب للسّفر كرت الصّعود، أو حتى وإن كان أمام سلّم الطّائرة؛ فما بالك وإن كان لمتأهّبُ ينتظر خوض معركة نصر أو خسارة (حياة أو موت)؟

وهنا أقول:

هناك فرق بين التأهّب الذي لا يطيق أصحابه زمن الانتظار، والتأهّب الذي يتجاوز القلق، شريطة أن يكون التأهب عن إرادة ورغبة وقناعة، ومع ذلك فلكلّ قاعدة استثناء؛ فالانتظار مقلقٌ عندما يكون وقته على حساب الرّغبة والحماس الذي يحفّز النّفس على قبول التحدّي، وقد يكون على حساب أداء الفعل؛ فالمتأهّب لا بدّ وأن يكون قد نسف جسور العودة، طال الزّمن أم قصر، وإلّا سيكون التراجع متيسرا كلّما طال زمن الانتظار؛ فخذوا حذركم أيّها المخططون وراسمو السّياسات والعاملون على إحداث النُّقلة وصُنع المستقبل.

ولذلك ينبغي أن يلحق التأهّب نفس المتأهّب، ويغوص فيها عمقا حتى يرى المتأهّب نفسه جبلًا لا تهزّه الرّياح، وأن يقبل شراب المرّ وهو على ثقة أنّه لا حلوَ إلّا من بعده، وأن يثق أنّه كلّما ازدادت المرارة اقترب من ذلك المأمول حلاوة.

فالمتأهّب إيجابا لا يدخل في قاموسه القلق ولا يجب، فإن كان قد دخل؛ فلا يعدّ متأهّبا حتى وإن عدّه البعض متأهبا، وإذا ما دخل ميادين المنافسة فلا فوز، ومن هنا تلد الخسارة خسارة، وهنا يُفقد الرّجال في غير وجهة حقّ؛ ذلك لأنّهم لم ينسفوا جسور العودة، ولم يكونوا قد تهيئوا لمواجهة القلق؛ فالقلق يجب أن يواجه قبل أيّ رحلة، وقبل أيّ مواجهة، وقبل أيّ إقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: القلقون لا يصنعون تاريخا، ولا يسهمون في صناعة التقدّم، ولا يحقّقون نصرا، ولا مقدرة لهم على دخول ميادين المنافسة الحرّة، عقولهم يملؤها القلق؛ فلا حيز للتفكير، يبدؤون حديثا ولا يتمون حديثهم، ويبدؤون عملا ولا يلتفتون إلى تجويده، يقلقهم زمن التعليم فلا يتمون تعليمهم، ويقلهم زمن التدريب فلا يتمون تدريبهم؛ فهؤلاء ومن على غرارهم لا يعدّون من المتأهبين في شيء.

فالتأهّب مرحلة متقدّمة من الثّقة في النّفس، والثّقة بالموضوع المتهيئ من أجله، مع وافر الرّغبة والاشتياق للإقدام، وهنا نلاحظ الفارق بين قلق المتأهّب، وقلق من حُسب متأهبا؛ فقلق المتأهّب يعكس الرّغبة في دخول الميدان عملا أو مواجهة، أمّا قلق غير المتأهّب فيعكس الرّغبة في التخلّي والخيانة والانسحاب بدلا من الإقدام ودخول الميدان، ولكن استثناء يجوز أن يكون للانسحاب تأهّب.

إذن: القلق حالة نفسية إن سيطرت على الإنسان فلا توازن، وهو من أمر الحياة الاعتيادية ويواجه الجميع، ويصعب تحدّيه، ولكن المتأهّبون متى ما تحدّوا فهم قادرون.

إنَّ البقاء على حالة القلق من عدمه يترتّب على المراحل السّابقة للتأهّب، وهنا إذا حدث القلق وأفسد صمود المتأهبين؛ فعلى البحاث أو المسئولين الذين أعدّوا الخطط ورسمو السياسات أن يقوموا بمراجعة تلك المراحل التي سبقت التأهب، وهي:

. الإرادة: هل هي السّبب في تحفيز الإنسان إلى المشاركة أم إنّ ضغوط كانت مختفية من ورائها، أم إنّ المشارك كان مجاملا لرغبة الوالدين أو رغبة من تربطه بهم علاقات خاصّة؟ فإذا كان هناك شيء من هذا؛ فلا استغراب أن يخيّب القلق أمل المخططين وراسمي السياسات.

. التهيؤ: كونه نفسيًّا عقليًّا بدنيًّا لا يكون إلّا عن فطنة ومعرفة بالمستهدف، مع إحساس بالأهمية النافعة لمن أصبح متهيأ للقيام بما يجب، وهنا فإن كان الإنسان قد تجاوز هذه المحطات بحيوية الرّغبة وقبول التحدّي مع وافر الإرادة والمقدرة، بلغ حالة التأهّب الذي لا عودة عنه بأيّ علّة من العلل، ممّا لا يجعل للقلق مؤثرًا سالبًا.

. الاستعداد: وهو الذي يمكّن من أخذ الحيطة والحذر بتوفير ما يمكن أن يُعد ويوفّر لإنجاز الفعل أو العمل، ولكن إن لم يتمّ الاستعداد لما هو متوقّع وغير متوقّع فلا شك أن المفاجأة والاستغراب ستكون علامات في أنفس الغافلين، وهنا تكمن العلّة.

التأهب استبصار:

التبصُّر قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر؛ كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلًا وإدراكا وما يستمدّه استقراءً واستنباطا، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}69.

هذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبا (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبا، ثمّ جاء قوله تعالى: (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالا على أهمية ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}70.

---

69 الصافات 174 . 179.

70 الصافات 180- 182.

وعليه: لقد كان يونس بصيرا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم؛ ولأنّه رسول مُرسل tقد كان طائعا لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيًّا؛ ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيًّا؛ ليقدم عليه متأهّبًا.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}71، أمَّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينية، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}72؛ ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفية التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنًا بأنَّ من ورائها خالقًا عظيمًا يملك قوّة الخلق كلّه، ويؤمن إدراكا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيأ لمعرفة الكيفية التي عليها المشاهد؛ لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلا والمعجز معجزا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبا لمزيد من المعارف والعلوم، {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى

---

71 الأنعام 103.

72 الغاشية: 17 ـ 22.

العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}73 والضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها؛ ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيئًا.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التاريخ ملئ بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}74، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}75.

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ، وهم كذلك متهيؤون لمعرفة الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيؤون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيات التي ترتكب، سواء أكانت انحرافا أم صلاحا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم؛ وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}76. ومع أنّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنَّ نظر كثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّمًا، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد)؛ ولهذا وجب التأهّب

---

73 يونس: 43.

74 الأنعام: 11.

75 النمل:69.

76 البقرة: 69.

فكرا حتى تصبح الثقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرًا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيء؛ لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصلاة وقوفا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلًا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصَّلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعا وسجودا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسئولياتك؛ فالمسئوليات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات يتمّ نيلها.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة أن لا تكون متسرّعًا.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهورا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزءٌ منك، ولكن لا تبالغ.

إذن فمن هو المتأهّب إيجابا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب عن تساؤلاته وافتراضاته وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إراديا وعدّ العدّة لذلك ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، ولكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن يكون المتأهّب متأهّبا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه؛ فالتأهّب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا؛ التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم.

الفعلُ

الفعل هو ما يفعل، سواء أكان عن إرادة أم من دونها المهم أنَّه يفعل، والفعل دائمًا يجسّد حيويَّة الإرادة عندما يكون الفاعل حرًّا مخيّرًا، وفي المقابل لا يعكس الإرادة إذا كان الفاعل مكرهًا على ارتكاب الفعل.

والفعل لا يمكن أن يكون ذا أهميّة ومقصد ما لم يكن قابلًا للتنفيذ، وفقًا لخطة ترسم، وبرؤية قابلة للتقييم والتقويم، والفعل هنا عمل يجرى أو يقام به من قبل الذين تهيئوا له واستعدوا عن إرادة؛ ليكون الاستعداد وإعداد العدّة من بعدها سابقان على التأهُّب المؤهل للإقدام على الفعل.

ومن ثمَّ يصبح الفعل أمرًا يتحقّق ويترك أثرًا (موجبًا أو سالبًا)، ولا يكون إلَّا عن أخذ قرار وتدبُّر، سواء في حالة إدراك الفاعل لأثر فعله وما يترتّب عليه، أم بعدم إدراكه لذلك.

ولهذا تتجسّد الأفعال عملًا وسلوكًا على أيدي الفاعلين لها، مما يجعل صفات الفعل ملتصقة بهم، كالتصاق السّرقة بالسَّارق، والتطرُّف بالمتطرِّف، والكذب بالكاذب، والجريمة بالمجرم، والاحترام بالمحترم، والصّدق بالصَّادق، والأمانة بالأمين، وهكذا.

ومع أنَّ للكلمة معنى فإنَّها لا تعني شيئًا إذا لم تصبح فعلًا مجسّدًا عملًا وسلوكًا، ومن هنا تتجسّد الكلمة المتطرِّفة بالفعل المؤلم عملًا متطرِّفًا ما يجعل التطرُّف صفة الفاعلين له.

ومع أنَّ التطرّف يُفعل، ويترك أثرًا مؤلمًا، ويجرّمه القانون، ويعاقب مرتكبيه، فلا إمكانيّة للقضاء على التطرّف قانونًا أو عقابًا؛ ذلك لأنَّ التطرّف فكرًا، والفكر لا يصحّح إلَّا بالفِكْر من خلال معرفة:

ـ العلّة التي أثارت العقل واستفزّت ملكاته.

ـ موقظات الإرادة التي لفتت الإنسان لعقله وحرّرته من الخوف، ومن قيود الفضائل، والقيم، والقوانين.

ـ مثيرات التهيؤ بعد أن أصبحت حيويَّةً، ولفتت الإنسان إلى نفسه وعلاقته بالغير من أجل أن يتخذ موقفًا به تواجه المستفزّات.

ـ دوافع الاستعداد التي قدّرت الفعل وخطورته، ثم مكّنت من تقدير الفعل وتحديد المستوجب لتنفيذه.

ـ كيفية إعداد العدّة واختيار أنسبها لتنفيذ الفعل.

ـ أساليب التأهُّب التي مكّنت من وضع الأهداف موضع الصيَّاد من الطريدة.

ـ المعطيات التي ألغت التردّد من نفس المتطرِّف وجعلت الفعل منفَّذًا وفقًا للخطط الرَّئيسة أو البديلة.

وعليه: فالأقدام على العمل بمشاركة الآخرين عندما يُنظر إليه مجردًا عن الذات والموضوع، ما هو إلا قضيّة فكريّة بداية ليس للسُّلوك أثر فيها، وإنما تتولّد القناعات العقليَّة من الفكرة، وهذه القناعات تنبع غالبًا من المتضادات الفكرية التي لا تجعل للآخر اعتبارًا في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك

مؤثرات خارجيَّة من المجتمع والبيئة تنمو مع نمو الإنسان حتى تصبح جزءًا من شخصيَّته التي من الصعوبة أن تنفك عنها، الأمر الذي يجعل الأنا على خلاف مع الآخر في أشياء منطقيَّة حتى تصبح له سلوكًا، سواء أكانت ذات أثرٍ موجبٍ أم سالبٍ.

وعلى هذا فالسُّلوك يترتّب على الأفكار التي تثيره، وتحرّكه الدوافع وتحدد اتجاهه، فالفكرة المجرَّدة هي الأساس بداية في تحريك الدّوافع، ومن ثَمَّ إثارة السُّلوك وتحديد اتجاه الأفراد، وكيف يتصرَّفون.

إنَّ الدوافع عادة تنشأ عن أسباب داخليَّة ذاتيَّة وخارجيَّة، تؤدّي إلى سلوك الفرد وتصرّفه وفق ما يتصرف به معظم الأفراد في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالكيفيّة التي يتصرَّفون بها؛ ومعظم الأفراد لديهم إحساس واضح بما يحدث ويؤدّي إلى دفعهم للقيام بفعل ما انطلاقًا من المركز، سواءً أكان المركز يتمثل في الأنا، أم إنّ آخرين يرونه في الآخر حسب ما اكتسبوا من معارف وخبرات؛ ولذا فللسُّلوك مثيرات تستحضر التهيّؤ والاستعداد والإرادة؛ وتجعل الإنسان متأهِّبًا للإقدام على أداء الفعل مهما كانت النتائج المترتّبة عليه كلّ وفق اتجاهه الذي أُعِدَّ عليه أو تشرَّب معلوماته منه، سواء أكانت تلك المعلومات خاطئة أم إنَّها كانت صائبة.

وهنا فمثيرات السُّلوك هي من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الحركة قبل وقوع الفعل، وهذه المثيرات هي التي تستفزّ الإنسان بالتهيّؤ وتوجهه إرادة لاستمداد القوّة واستمداد وسائل إظهارها بغض النظر عن كونها شرعيَّة أم غير شرعيَّة، فكلٌّ حسب وجهته التي ارتضاها بإرادة.

فالإنسان المحترم تثيره الأفكار التي تولِّد عنده شعورًا اتجاه الآخرين كما تولِّد ردود أفعال اتجاههم، مما يجعله بعد تهيّؤ واستعداد وتأهب قادرًا على أن يقدِمَ على فعل مؤيدٍ أو فعل معارضٍ لذلك الفكر وأصحابه.

إنَّ استجابة الإنسان لمثير ما في سلوكه يتوقّف على مكتسباته من الأفكار والعادات والتجارب، ومن ثَمَّ طرق التصرف التي تعلّمها من قبل؛ استنادًا إلى معرفته السَّابقة، مما يجعل تصرُّف بعض الأفراد غير مؤسّس على أهداف واضحة محدّدة، والبعض الآخر يتّصف بالتحديد الدقيق في موقف ما وفق أهداف واضحة محدّدة، وبعضٍ منهم يكون سلوكهم لأجل الدفاع عن الأنا بصرف النظر عن الحقِّ والباطل أو الصواب والخطأ، وفي هذه الحالة تكون نظرة الفاعل لهذا السُّلوك نابعة من الأنا التي يعدّها تمثّل المركز.

أمّا اتجاه السُّلوك فيتمثل في العادات التي اكتسبها الفرد، والمهارات التي يتمتَّع بها، والقدرات التي يمتلكها، وكثيرًا ما نجد الدوافع هي التي تحدّد اتجاه السُّلوك، من نجاح وفشل ومن ثأرٍ وانتقام، ومنافسة، وصراع، وصدام، واقتتال، وإقصاء، وتغييب، وتسفيه، وتقليل شأن؛ فكلّ السالب منها إن حدث ترتّب التطرُّف عليه بأسباب موضوعية.

إذن: فالدوافع التي تعمل على توجيه السُّلوك متباينة لدى الأفراد، منها: الدوافع النفسيَّة، والغريزيَّة، والفكريَّة، وكلّها قادرة على تحديد سلوك الفرد وتوجيهه، مما جعل الدوافع متأثِّرة بالحاجات ومشبعاتها، وهذه الدوافع التي تؤثّر في السُّلوك وتؤطّره وتحدد اتجاهه، تتطوَّر وتتشعَّب من خلال الخبرات المتراكمة من التجارب والثقافة التي مصدرها الفكرة.

إنَّ الدوافع التي توجّه بالسُّلوك تتطوَّر وتتشعب سلبًا وإيجابًا بتبني أفكار جديدة والتخلّي عن أفكار أخرى أو محاولة الجمع بينها أحيانا، وهذا أمر يعمل على التأثير في الأفراد والتجمعات خلال مسيرة الحياة، ومع ذلك فإنّ السُّلوك لا يُمكِّن من الوقوف على الأصول التي نبعت منها دوافعه على الرغم من أنه ناتج عنها؛ وذلك لما يطرأ عليها من أفكار تُقرأ من وجوه متعددة وتخرج بمفاهيم متباينة للفكرة الواحدة؛ لذا نجد بعض الأفراد يتَّصفون برغباتهم القويّة في الانتماء الاجتماعي الذي قد ينشأ بسبب تأثير عوامل معينة في مجتمع معين، ومع ذلك نجد أفرادًا آخرين يرفضون هذا الانتماء في المجتمع نفسه، فيترتّب عليه اختلاف في السُّلوك، وهنا تنشأ عللٌ تجعل أفراد البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد لا يمكن أن يستقوا دوافعهم من مصدر واحد وإن اشتركوا في تجمع بشري وجغرافي؛ فالتجمع الجغرافي لا يُلغي تعدّد المصادر الفكرية متنوّعة الاتجاهات، مما يجعل الأحزاب السياسية والاتجاهات الفكرية في المجتمع الواحد تتعدّد.

وكثيرًا ما تتداخل أنواعٌ من الدوافع التي تُحفِّز السُّلوك وتتأثّر به، فقد تتمثّل الرَّغبة لدى بعض الأفراد في اكتساب خبرات جديدة نابعة من دوافع الاتزان والحرص، كما يكون الانطواء والخوف دافعا للاقتناع بالواقع لدى بعضٍ آخر، وعلى هذه الدوافع يتحدّد اتجاه السُّلوك؛ ونتيجة لذلك فإنَّ بعض النَّاس يتصرّفون وكأنّهم يبحثون عن الجديد بصورة مستمرة، بينما يبدو بعضهم وكأنّه قانع بالأشياء المألوفة لديه، وقد لا يرتضي التغيير وإن كان نافعًا.

ومع ذلك فإنَّ الفكر هو الأساس المؤثّر في السُّلوك مرونة أو تطرُّفًا وفقًا للوجهة التي يتوجَّه الإنسان إليها؛ لذا لا يمكن لأحد أن يرسم صورة

للتطرُّف أو المتطرّف قبل الوقوف على تلك الأفكار التي أنتجت الدوافع المؤثّرة في السُّلوك وحدّدت اتجاهه في أقوال وأفعال أدّت إلى التطلّع من أجل تحقيق نتائج يمليها الفكر من بينها رفض التمركز على شخصٍ واحدٍ، أو على رؤية واحدة لفردٍ أو جماعة معيّنة، بل يجب أن يتمّ نقل المركز وتبادله من الأنا إلى الآخر أو العكس كلّ بإرادة مع وافر الشفافيَّة.

ومن يفترض نفسه نقطة التمركز في الاعتدال والتوازن ظانًّا أنَّه يعبِّر عن الفضيلة والقيم السامية والأخلاق الرَّفيعة، فقد حدّد مواقع الآخرين ومواقفهم تبعًا لذلك، وبالتَّالي فهو يعطي مبررا للآخر أن يفترض الفرضيَّة نفسها، ومن هنا تنشأ القضيّة المعياريّة للتضاد الفكري؛ فالذي يُقرُّ سحق الآخر، وإلغاءه لمخالفة الرأي فقد ركب من التطرف مركبًا.

إنَّ الأفكار المتضادة عبر التَّاريخ التي نمت وقيّمت الآخر بميزان الأنا أنتجت مسميات للتضاد الفكري من (مركزٍ، ويمين، ويسار، ووسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط، وكذلك اليسار المتطرّف، واليمين المتطرِّف)، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

ومن هنا إنْ نصّبت الأنا نفسها ممثلًا لقيم الفضيلة ومركزًا لها، فقد حدّدت موقع الآخر تبعًا لذلك وفقًا للمقياس الذي ارتضته لنفسها دون استشارة الآخر، وغالبا ما يكون هذا المقياس الشخصاني متعارضا مع الآخر وقيمه وفضائله بنسب متسلسلة تصل أحيانا حدّ التصادم.

إنَّ مثل هذه النظرة التي تدَّعي أنَّها قادرة على وضع الموازين، وتدَّعي أنَّها القاسطة ولا غيرها، ومركزًا يجب على الآخرين الدوران من حوله تُعدُّ فاقدة

لمبرراتها؛ بما أنَّها قررت أن تعارض أفكار الغير لمجرد أنّهم الغير، وهي بهذه النظرة قد وضعت نفسها في المواجهة أمام فوهة المتطرِّفين الذين إن قرروا أصبح الموت مطلبًا يتسارعون في نيله دون خوف وبلا تردُّد، ويصبح المتطرِّفون قادرين على اتباع أساليب التطرُّف المتنوّعة التي منها العنف الدموي.

الإقدام على الفعل:

عندما تتساوى كفَّتا الحياة والموت عند الإنسان فلا استغراب أن يصبح متطرِّفًا، أي: عندما يتلقّى الإنسان تعاليم وأفكار منحرفة ومتطرّفة وكأنَّها حقائق دامغة للباطل يرسّخها في نفسه، ومن ثمّ يتحفّز إلى العمل الممكّن من الفوز بما يظنُّه الجزاء الأوفى.

ومن هنا فإنْ توافر العزم والإصرار يصاحبه على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون يصبح وضع الإصبع على الزِّناد استعدادًا للرمي في زمن الانقضاض.

ولذا؛ فالتأهّب يؤجج في النفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد، مع شجاعةٍ وبلاءٍ وإصرار على الإنجاز في الوقت المحدد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجآت؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ومن ثمَّ في التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض وتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالفاعل عندما يكون متأهِّبًا تكون مشاعره وأحاسيسه مصهورة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل، والشّكّ من ملكاته منتزع انتزاعًا.

فذلك الصحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد لو لم يكن متأهّبًا للرمي ما رماه أمام أعين النَّاس على شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصحفي الموقَّر.

ولذا؛ من يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد، دون أن ينتظر رأيًا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل فمن دون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوافر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالأفراد من دون شكّ على مستوى المسئوليَّة يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمة من مهماتهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع مما يجعل المفاجآت تتكرر أمامهم على الرغم من الاستعداد والعدّة والعتاد.

إذن فالاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنًا ومحققًا للنجاحات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت، وبالتالي فلا داعي أن يقدم على أفعال قبل أن يكون قد تأهَّب لها.

الفعل تتويجًا:

الفعل تتويجٌ للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا يتحقّق إلا من فاعل من أجل مفعول لأجله، والفعل حركة وسلوك وإنجاز، وعندما يتحقّق لن تنتهي الأمور بل يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة؛ ولهذا فكثير من الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وما يأملونه من غايات.

ولهذا يُعدّ الفعل خروجًا من دائرة السّكون إلى دائرة التنفيذ إنجازًا للأهداف أوّلًا بأوّل، من خلال تمدّد القوّة وحركتها الفكريَّة والماديَّة؛ ولهذا فالعمل الذي يفعل عن إرادة وبعد تهيؤ واستعداد وتأهُّب، هو العمل المدروس والمخطط له، والمأمول بلوغه ونيله عن دراية[77].

الفعل ارتقاء:

مع أنَّ الفكر أساس النّهوض، فإنَّه لا نهضة إلَّا بالعمل المنتج والمبدع والخلاق؛ ولهذا يعد العمل ارتقاءً رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُّفليَّة والدّونيَّة، وهو الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه الممكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسئولياته، والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة، وقد يكون نتاج التربيّة وتهذيب السُّلوك ومخافة الله.

---

[77] عقيل حسين عقيل، التطرف من الإرادة إلى الفعل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2019م، ص 250.

والعمل ارتقاء هو الذي فيه تُتَّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلالٌ للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ العمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به؛ لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

فالعمل ارتقاء يستوجب كيفيّة وكميّة؛ كيفيّة من حيث الجودّة، وكميّة من حيث ما يشبع دون أن يكون هناك نقص.

إذن العمل ارتقاء يستوجب جهدا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريًّا وقد يكون عضليًّا وقد يكون فنيًّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها، أي: يجب أن تقدّر تقديرًا عاليا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة المبدعين المهرة.

والعمل ارتقاء مسئوليَّة لا يحملها إلّا من هو على دراية ومعرفة بما له وما عليه، أي: معرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ويجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل وتشريعاته، والمهنة والوظيفة وحمْل المسئوليّة حتى وإن كانت عبئًا جسيمًا.

وعليه:

. العمل ارتقاء لا يكون إلّا عن وعي ومعرفة ومسئوليّة.

. العمل ارتقاء لا يكون إلّا والأمل لا يفارق عقول المنتجين.

. العمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقيّة.

. العمل ارتقاء يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. العمل ارتقاء احترام للمهنة.

. العمل ارتقاء حقّ ينبغي أن يمارس.

. العمل ارتقاء واجب ينبغي أن يؤدّى.

. العمل ارتقاء مسئوليّة يجب أن تُحمْل.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. العمل ارتقاء نتاج تفكّر فيما يجب وأداؤه مهنيًّا.

. العمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكاليّة والطمع.

. العمل ارتقاء حسن أداء وجودة إنتاج.

إذن الارتقاء رفعة وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولا يكون الارتقاء إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

ولذلك فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارًا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)،

والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يَقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تُقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندمٌ.

فالعمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ ولذا فمن رغب مكانة ويأمل تبوءها فعليه بالعمل المنتج، ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل؛ لتكون المكانة فردية وجماعية: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}78. فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات، {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}79.

---

78 الأنعام: 135.

79 التوبة: 105.

وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا؛ فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر؛ كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍّ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئًا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ومن هنا؛ فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

وعليه: فمن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له، ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها؛ ولهذا فالارتقاء عملا يحقّق:

- الرّفعة.
- تبوء المكانة.
- القدوة الحسنة.
- الاعتماد على الذّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

وعليه:

. تعلّم؛ حتى تجعل الجهل خلفك ولا فرصة له أن يلاحقك.

. اعمل؛ حتى ترتقي وتتبوأ المراكز المتقدّمة.

. تحدّ؛ حتى تخلق لك مستقبلًا أفضل.

. اجعل المهنة وكأنّها الهواية وعن رغبة واشتياق.

. أتقن عملك؛ حتى يصبح لك هويّة.

. تطلّع إلى الأجود حتى وإن تمكّنت من أداء عملك ارتقاء.

. اعمل فلا قيمة لك إلّا بالعمل ارتقاء.

. الارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها؛ ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

ولهذا فعليك بالعمل، فالعمل الصالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا فهو يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}80. أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الراقي حسابه، وللعمل السيئ حسابه، ولا يظلم أحدا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}81.

الحوافز تدعم الأفعال:

الحافز قد يكون ماديًّا وقد يكون معنويًّا، ولكلٍّ أثره الإيجابي على الجهد والحيويّة والإنتاج، ومع أنَّ الأفعال ذات قيمة بما تحققه من نتائج، فإنَّ للحافزية أثرها الدَّاعم للحيويّة والرضا النفسي.

والحوافز الداعمة هي ذات الأثر الموجب في تقوية دافعيّة الأفراد للمشاركة الفعّالة، أمّا الحوافز التي تُقدَّم ولا تترك أثرا موجبا لا يمكن أن تكون ذات قوّة دافعة للمشاركة الفعّالة، أي: إنّها قد تدفع إلى المشاركة ولكن لا تحقق درجة الفعاليّة في نفوس الأفراد؛ وذلك إمّا لأنّها لا تتماثل مع الجهد المبذول، أو الوقت المستغرق في عمليّات التنفيذ، أو إنّها لا تتماثل مع ما تحقّقه من إنجاز كبير؛ فالحوافز تُشجّع العاملين والمتعلمين والمبدعين على زيادة الإنتاج وفقا للجهد المبذول ونوعيته ورقي مستواه ودرجته.

وعليه:

- لا تغفل عن أهميّة الحوافز الدّاعمة والدّافعة لزيادة الإنتاج والإبداع.

- اعتمد الكلمة الطيبة مع العملاء تنل تقبلهم واحترامهم.

---

[80] الزلزلة: 7 ، 8.

[81] النساء 40.

. ضع دائرة الممكن نصب عينيك كلّما أجريت دراسة حالة أو شاركت أو دُعيت للمشاركة في رسم الخطط والإستراتيجيّات.

. حدد الحوافز وفقًا للجهد المبذول والوقت المستغرق في عمليّات الإنجاز والعائد من العملية الإنتاجيَّة.

. قدّر طموحات الأفراد والفروق الفرديَّة بينهم، وحثّهم على المنافسة الإبداعيّة.

. اعمل على إزاحة الظّنون من أنفس الأفراد الذين لا يرون مقدرة لهم على العمل والإنتاج وقبول التحدّي، وعليهم أن يعرفوا أنّ الظنون قيم نتائجها سلبية إذا ما وضعت على الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة تحت المظلة الأهلية أو الحكومية؛ ولهذا فمن يتقدم إلى المشاركة بفعالية تُزاح الظنون عنه، ومن يتقدم إلى المشاركة من دون فعالية توضع الظنون عليه؛ ولهذا الفاعلية قيمة إيجابية تُمكن من إزاحة الظنون. وخير ما يسهم في إزاحة الظنون هي قوة العزيمة والتصميم؛ ولذا ينبغي أن تُقوّى عزائم الأفراد وإرادتهم؛ ليتمكّنوا من إدارة شئونهم عن وعي وتصميم وبكل إرادة[82].

وعليه:

مارس حقوقك بلا تردّد.

أدِّ واجباتك بثقة.

---

[82] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 161 – 165.

احْمِلْ مسئولياتك بحرّية.

ومن هنا ينبغي على مؤسّسات الدّولة ومن خلال خبرائها والمتخصّصين في التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة ومن خلال مراكز البحوث أن يعملوا على الآتي:

. تمكين أفراد المجتمع من تحمّل الأعباء التي يجب أن لا يتخلوا عنها كمواطنين لهم من الإمكانات والقدرات والاستعدادات ما يمكِّنهم من ذلك.

. تمكّين أفراد المجتمع من حمْل مسئولياتهم الناتجة عمَّا قاموا به من أفعال؛ وذلك لتأكيد ذات كلّ فرد وأهميته وأهمية دوره في المجتمع.

. حمْل المسئوليّة عبء يستوجب التحمّل في سبيل بناء الذّات في نفوس أفراد المجتمع.

. تمكين أفراد المجتمع من ممارسة كلّ ما يتعلق بهم من أمر (قول وفعل وسلوك).

. دفع أفراد المجتمع إلى حمْل الأعباء الجسام للمسئوليّة، دون كلل ولا ملل، وتحمّل ما يترتّب عليها من مساءلات أو عقوبات أو مكافآت.

. تمكين الأفراد والجماعات من الإقدام على تأدية ما يتعلّق بهم من أمر وتحمُّل ما يترتّب عليهم من إجراءات يعزز ثقته بأنفسهم، ويُمكِّنهم من المشاركة الفعّالة.

. إشعار الأفراد بأهمية المسئولية فيما يؤدّونه أو يلعبونه من أدوار.

. حث الأفراد على تأدية الوظائف الاجتماعيَّة على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي كلّ حسب الدّور والاختصاص والمؤهل الذي تعتمده القوانين والتشريعات النافذة في مؤسّسات المجتمع وهيئاته.

. تحريض الأفراد على ممارسة الحقوق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة، بلا إنابة ودون زيادة أو نقصان؛ اعتمادا لقيمة المساواة بين المواطنين في الدّولة.

. تحريض أفراد المجتمع على تأدية الواجبات الاجتماعيَّة والوطنيّة في مقابل ما يمارسونه من حقوق بإرادة.

. الإسهام في دفع عمليات التفاعل الاجتماعي وفقا للمعتقدات الدينيّة والأعراف المعتمدة في قيم المجتمع.

. الإسهام في عمليّة التغيير المستهدف من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، ووفقا لخططه وإستراتيجياته التي تنقله إلى مستويات قيميّة وحضاريّة أكثر رقيًّا وتقدّمًا.

. تغيير أحوال الأفراد من الالتجاء والرّكون إلى مواقع الاستثناءات التي يمارس فيها السّلوك الانحرافي أو الشاذّ، والعودة به إلى الجلوس على القواعد التي تمدّه بالثقة وتُمكِّنه من الاعتماد على إمكاناته الهائلة فيما يجب.

. الإسهام في عمليّات التغيير الهادف الذي يؤدّي إلى تنمية القدرات واستثمار الإمكانات وتحقيق التقدّم الثقافي والحضاري لأفراد المجتمع وجماعاته.

وعليه:

. مارس حقوقك.

. أدِّ واجباتك.

. احمْل مسئولياتك.

. اصنع التغير.

. حقق التغيير.

. قارن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وأقدم على ما يجب.

. تطلّع لأداء وظائفك الاجتماعيَّة بكل ثقة.

. انزع الخوف من نفسك؛ لتتشرّف بتحدّي الصّعاب.

. ثق أن كل شيء في دائرة الممكن قابل للتغير والتغيير.

. امتلك الإرادة في كلّ أمر يتعلّق بك.

. اثبت وجودك وذاتك بالعمل.

. أهّل نفسك للمستقبل.

. ابحث عن قدوة حسنة.

. كن قدوة حسنة لغيرك.

. اعتمد التغيُّر قاعدة وإلا سيعتمده لك الآخرين.

. اعرف أنّ الجمود والسّكون استثناء فلا تركن إليه، واعمل على التغيير الموجب.

ولذا فعلى المسئولين في الدّولة أن يعملوا ما في وسعهم على إيجاد الحلّ بدلا من الاقتصار على عمليات الإصلاح؛ ولأجل أن يحدث التغيير الموجب يجب على كلّ مفردة من مفردات المجتمع أن تتحمّل ما يترتب على كلّ ما تقوم به في ضوء اختصاصات وصلاحيات وأدوار ومسئوليات، وفي ضوء الاتجاهات والشرائع والقوانين والأعراف التي تُكوِّن الخصوصيَّات الاجتماعيَّة، وعليهم أن لا يغفلوا عن:

. تحسيس أفراد المجتمع بأهمية إمكاناتهم المتعدّدة والمتنوّعة، وتمكينهم من معرفة فوائدها؛ حتى لا يكونوا عالة على غيرهم.

. تمكين الأفراد من معرفة إمكاناتهم من حيث المقدرة والاستعداد ومن حيث الخبرة والتأهل والتجربة؛ حتى يُدركوا حقيقة أمرهم وما لهم من قوّة.

. تمكين أفراد المجتمع من معرفة إمكاناتهم الذاتية التي هم عليها والتي هم يمتلكونها، وتوجيههم إلى استثمارها الاستثمار الأمثل.

. تفطين أفراد المجتمع من غفلتهم وتوجيههم إلى العمل المنتج يُمكِّنهم من نيل التقدير والاحترام من الآخرين.

. دفع أفراد المجتمع ومؤسّساته وهيئاته إلى استثمار الإمكانات المتاحة في الأوجه المرضية التي تؤدّي إلى إشباع الحاجات المتطوِّرة للأفراد والجماعات.

. معرفة الإمكانات المتعدّدة التي يمتلكها المجتمع، والعمل على تسخيرها فيما يُفيد ويعود على أفراده وجماعاته بالنفع.

. تمكّين الأفراد من ممارسة حقوقهم في كلّ ما يتعلق بهم من أمر يجعلهم قوّة بنائية في مجتمعهم وبلدانهم، ويُمكِّنهم من نيل التقدير من ذويهم وكذلك من الآخرين.

. توعية الأفراد والجماعات والمسئولين والعاملين في مؤسّسات الدّولة على ترسيخ قيمة الاعتبار بينهم؛ حتى يزدادوا رقيًّا ومكانة.

. تنبيه مؤسّسات المجتمع ومجالسه وهيئاته وجمعياته إلى أهمية مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم في تحقيق التقدّم والتطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي والذّوقي والثقافي.

. حث الأفراد على أداء واجباتهم التي هي حقّ لهم في مقابل ما يمارسونه أو يقدمون على فعله والقيام به.

. دفع أفراد المجتمع القادرين على أداء واجباتهم إلى المشاركة في كلّ ما يتعلق بهم من أمر حتى يتحمّلوا مسئولياتهم ومسئوليات الذين يتعلق أمرهم بهم.

. مراعاة قدرات أفراد المجتمع ؛حتى لا تنجم ضغوط نفسيّة أو بدنيّة وتؤثّر سلبًا على حالاتهم، والعمل على تنميتها فيما يفيد المجتمع.

. توعية الأفراد بإمكاناتهم المتعدّدة وتفطينهم لها؛ من أجل استثمارها بما يحسّسهم بالقدرة على العطاء ويدفعهم للاستزادة التي تطوي الهوة بينهم وبين تحقيق النُّقلة.

. تحريض أفراد المجتمع على تبادل الاحترام والتقدير؛ حتى يتخذوا المنطق حُجّة بينهم وترتوي أنفسهم بالطيبة والرّقي السّلوكي.

. وفقا لقاعدة النسبية يجب مراعاة درجات استعداد أفراد المجتمع للعمل والعطاء؛ حتى لا تصدر قرارات من جهات العمل وتعمّم على الجميع وكأنّهم نسخة واحدة لا فرق بينهم في درجة الاستعداد النفسي والبدني والرّغبة والطموح.

. مراعاة المهارات المتنوّعة لدى الأفراد العاملين والأفراد الذين يبحثون عن العمل وتوجيهها فيما يمكن أن يفيد المؤسّسة والمجتمع وينفعهما.

. مراعاة المستويات التعليميّة في توجيه الخريجين والباحثين عن العمل ومراعاة تخصّصاتهم؛ حتى يُنسَّب الخريج المناسب إلى المكان المناسب.

. التأكيد على قيمة التقدير المتبادل بين العاملين في المؤسسات الحكوميّة ومؤسّسات المجتمع المدني وسيادتها بين العملاء والزبائن والأخصائيّين الاجتماعيّين وذوي العلائق بكل أمر.

. دفع الأفراد لاستثمار إمكاناتهم الذّاتية فيما يفيد والبحث عن مصادر أخرى تُسهم في الإسراع بحركتهم تجاه الأهداف التي حدّدوها للمستقبل الذي يأملونه.

. توجيه الأفراد إلى ما يؤدّي بهم إلى المشاركة التي تزيد قوّتهم قوّة، وتمكّنهم من الاعتماد على ذاتهم في حالة إي تحدٍّ خارجي لهم أو للمجتمع الذي ينتمون إليه.

. التأكيد على قيمة الاستيعاب المتبادل بين الأنا والآخر؛ حتى يُمكِّن أفراد المجتمع من الألفة والوحدة.

الإمكانات تنجز العمل:

مع أنَّ العمل لا يتحقّق إلَّا بجهد يبذل من قبل الإنسان فإنَّ الإمكانات تظل داعمة ودافعة على تجويد العمل كمًّا وكيفًا، ومع أنَّ الإمكانات داعمة لرأس المال الوطني فإن قبول تحدّي الصّعاب تحت الظروف الصّعبة قادر على إنجاز ما هو أعظم لو كان ذلك جنبًا إلى جنبٍ مع وفرة الإمكانات.

ولأنَّ الإنسان إمكانات هائلة ومتعددة، فلِمَ لا يُمكّن من أداء المهام وفقًا لإمكاناته حتى يتفوّق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه ورغباته، فالإنسان كمفردة بشريَّة يمكن أن يكون شاعرًا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسًا أو طبيبًا، وكذلك رياضيًّا، أو رسّامًا أو نجّارًا؛ ولأنَّ الإنسان إمكانات متعددة، فهو قوّة لا يستهان بها؛ ولذا ينبغي أن تُوجّه إمكانات الإنسان إلى ما يجب، حتى يستفاد منها اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا.

وعليه:

- اكتشف إمكاناتك لتتمكن من نيل التقدير.
- أظهر إمكاناتك، لتنل الاحترام.
- طوّر من إمكاناتك، لتحدث النقلة.
- استثمر إمكاناتك، لتصنع مستقبلًا.
- وجّه إمكاناتك، لتُبدع وتتطوّر.

ولأنَّ الإمكانات في بعض الأحيان كامنة، فهي ما لم تستفزّ قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدّي إلى انحرافات سلبية غير هينة؛ ولهذا فمعظم الشباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهذيبها، ثمّ استثمارها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالمنافع.

ولذا فالقاعدة هي:

1 ـ كشف الإمكانات.

2 ـ استثمار الإمكانات.

3 ـ توجيه الإمكانات.

والاستثناء هو:

1 ـ عدم كشف الإمكانات.

2 ـ عدم استثمار الإمكانات.

3 ـ عدم توجيه الإمكانات.

ولهذا فالإنسان الذي لا يتمكَّن من إظهار قوَّته ولا يستطيع تنمية قدراته هو في حاجة لمن يساعده على اكتشاف إمكاناته واستثمارها وتوجيها وتوظيفها، وهنا يكمن دور المتخصّصين، فلا ينبغي أن يغفل.

وعليه:

ـ اكتشف إمكاناتك واستخدمها بثقة.

ـ اكتشف قدراتك واستثمرها بيسر.

. اكتشف طاقاتك ونمّها إلى أقصى حد.

. اكتشف استعداداتك وهيئها للإقدام على ما يجب.

. امنح نفسك فرصة التطلّع إلى تجارب الآخرين.

ولأنَّ الإنسان قوّة من مجموع مكوناته؛ لذا فإنَّ عطب أو فقدان حاسّة من حواسه لا يعني أنّه ضعيف وفقد القوّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيئًا بسيطًا من مجموع إمكانات القوّة؛ ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه، ويعمل على تنميتها تحدّيًا للضّعف الذي لا سبيل له إلّا الهاوية؛ ولهذا على الإنسان أن يعرف أنّه:

. قوّة في ملكاته العقليّة.

. قوّة في حواسّه.

. قوّة في احتوائه للتّاريخ، وصناعته له.

. قوّة في استطاعته.

. قوّة في تحمُّله وصبره.

. قوّة في قراراته.

. قوّة في استقرائه واستنباطه واستنتاجه.

. قوَّة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

. قوَّة في تطلّعه وآماله.

. قوّة في تقبله التحدّي.

ومع أنَّ الإنسان قوّة متكاملة، ولكن في حالة عطل أيٍّ جزء منها؛ فالمتبقي قوّة على الرّغم مما يتركه الزّمن من أثرٍ.

وعليه:

. اعرف أنّك قوّة.

. لا تغفل عن مكامن قوّتك.

. هيئها لكلّ حين.

. ادعم مواطن القوّة فيك.

. عالج نقاط ضعفك.

. اكتشف مواطن قوّتك.

. ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

. تخلَّص من نقاط الضّعف.

. اجمع نقاط القوّة حتى تزداد قوّة.

. تأهّب للإقدام على الفعل الموجب فإنّك قادر.

وعليك أن تعرف أنّه لا تقدير ولا احترام إلّا بأفعال تستوجب التقدير والاحترام، ولأجل نيل ذلك يجب على المسئولين:

. تمكين أفراد المجتمع من نيل التقدير والاعتراف؛ وذلك بدفعهم لممارسة حقوقهم، وتأدية واجباتهم، وحمْل مسئولياتهم بنجاح وإخلاص.

. تحسيس أفراد المجتمع بالتقدير والاعتراف مقابل ما يقومون به من مهام ناجحة على مستوى الأسرة أو الجماعة والمجتمع، أو ما يقومون به موجبًا في مجالات الإنتاج والعمل والتعليم، أو مجالات البناء والعمران والعلائق القيميّة التي تمدّ أفراد المجتمع بالمحبة والتفاعل والتعاون والمشاركة الهادفة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ مفردة من المفردات الاجتماعيَّة وظيفة، ينبغي أن تؤدّى؛ حتى تتكامل جهود البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بناء الذات الاجتماعيَّة، وفي الوقت ذاته تؤدّي إلى التطلّع للأفضل والأنفع والأرفع.

. تفطين أفراد المجتمع ومؤسّساته إلى أهمية التحصيل العلمي المتطوّر والمتجدد في تنمية الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة لجميع المواطنين.

. الاعتراف للفرد والجماعة والمجتمع بأنّ لكلّ منهم أدوارًا ينبغي لعبها والقيام بها في حدود إمكاناتهم وقدراتهم واستعداداتهم، وبما يعود عليهم جميعا بالنفع والفائدة المشتركة؛ فلعب الأدوار يزيد المجتمع وحدةً وتماسكًا.

. تحفيز أفراد المجتمع الملتحقين بالعمل على الازدياد في العطاء؛ وذلك بتذليل الصعاب التي قد تواجههم وهم يقدمون على بدل الجهد المناسب تجاه الأهداف العامّة التي حدّدها المجتمع لصناعة مستقبله الأحسن والأجود والأفيد.

. رسم الخطط والإستراتيجيّات الموضوعيّة التي تحقق اللُّحمة الاجتماعيَّة أو الوطنيّة، وتزيد درجات التفاعل بين الأفراد والجماعات سواء الذين يعيشون في المدن أو الذين يعيشون في القرى والضواحي.

. حث الأفراد على أداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة؛ حتى يتمكَّنوا من نيل التقدير والاعتراف.

. تشخيص حالات العاملين والباحثين عن العمل وتصنيفهم بمعايير قيميّة؛ حتى تتمكّن مؤسّسات المجتمع الخدميّة والإنتاجيّة من تمكين الشّخص المناسب في المكان المناسب، أو الاستغناء عن خدمات البعض إذا ما تبيّن أن شخصيّاتهم تتمركز على المستوى القيمي الشخصاني، ليتولى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدّراسة حتى بلوغ العلاج الذي يُمكِّنهم من العودة إلى بيئاتهم الصّالحة للحياة الاجتماعيَّة السّوية.

. التعرّف على مستويات العمل وتبيانها للباحثين عن العمل؛ لأجل تقديم المشورة والنّصيحة وفقًا لمعطيات موضوعيّة ومنطقيّة سواء التي تتعلّق بالقيم التعليميّة أو المتعلقة بالقيم الصّحيّة؛ من حيث القدرات والاستعدادات وكذلك من حيث توافر المهارات والخبرات من عدمها.

. تأهيل الأفراد والجماعات على المشاركة وبذل الجهد؛ حتى يتم نيل التقدير والاعتراف.

. تعزيز العطاء الموجب والمشاركات الفعّالة بين أبناء المجتمع بالاعتراف والتقدير اللذين يَمدان عملية المشاركة الاجتماعيَّة بالاستمراريّة.

. التقويم المعياري عند تقديم المساعدة الهادفة أو عند إبداء الآراء المهنيّة يُمكّن المتخصّصين من إصدار أحكام وقرارات موضوعية صائبة.

. تنمية العلائق بين التكوينات الاجتماعيَّة وجماعات العمل والمناشط المتنوّعة والمتعدّدة؛ بغرض زيادة وحدتهم ومضاعفة قوّتهم تجاه الأهداف

الاجتماعيَّة، أو تجاه أهداف المؤسّسات والهيئات والجمعيات والشركات العاملين فيها.

. العمل بموضوعيّة مع الحالات المختلفة والمتعدّدة والمتنوّعة وفقًا لمستوياتها القيمية وانتظامها على السّلم القيمي الاجتماعي أو الإنساني، وفي مختلف المجالات؛ من أجل إيجاد حلول ومعالجات تؤهّلهم إلى المشاركة والتفاعل الموجب.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (159) مؤلّفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمَّة وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقدأميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61. من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62. من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64. من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65. من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66. من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمَّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانية، 2020م.

153 –كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

155 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

156 – وسائل التأهُّب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

157 – طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

158 – أمحمَّد أميّ، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

159 – حلقات صناعة المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أميّن تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أميّن التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أميّنا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (159) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: Dr-Aqeel.com